

الدكتور راغب عبد النور

الله

ظهور في الجسد



١٠٣ - تقييمات لابن حزم في معرفة الله

تعريف و تمهيد

لنبأ عن النهاية ، فليس من قبيل تقييم ، بل من
بين يديك أيها القارئ ، كتاب . هو محاولة في حدود
الإمكانيات لمعرفة قصة حدثت مرة ولن تتكرر في أي
أي صورة من الصور . إنها قصة تجسد الابن الكلمة
الأزلية .

نعم

إنها قصة ، نحاول أن المطرق أبوابها لنتعرف إلى
حوادثها وحقائقها في تهيب وتربيث في قان وتأمل .
وإذ يلفنا العجب والاستغراب ، نطير بأجنحة الإيمان
إلى أعلى القمم للحب والاعجاب . ليبقى إلى آباد الدهور
اسم ربنا مباركاً ومجيداً .

ما هو التجسد ؟

هو أرقى الوسائل التي استخدمنا ربنا غير المنظور
ليكون في مستوى الادراك الحسي المنظور من الإنسان
القاصر المحدود .

الله تكلم مرة في عمود السحاب أو عمود النار .

وتكلم أيضاً في الخيمة من تابوت العهد .



بسم الله الرحمن الرحيم

سالمان قويونلوباش لينغا

شمس الدين علي بن شعبان الدين كاسلا لينغا

لِغْرِي

الاذاعة ، وتشدهم الصورة على الشاشة . هذه الأصوات وتلك الصور ، كانت موجودة داخل المكان قبل أن يدخل مفتاح الجهاز . كانت موجودة في كيفية لا تستطيع أن تلتقطها حواس الإنسان . لأنها كانت في شكل موجات كهربائية . والجهاز بعد إدارة المفتاح ، حول الموجات الكهربائية التي موجات صوتية وضوئية . موجات تستطيع أن تلتقطها حاسة السمع وحاسة النظر في الإنسان . وغير المسموع وغير المنظور غداً مسموعاً ومنظوراً .

بهذا القياس نشير إلى التجسيد وعلى هذا القياس لسنا نجد غرابة في القول « الله ظهر في الجسد » والدافع الذي حدا بربنا أن يرسل علينا بأنباء ويتحدثلينا في رؤى وأحلام ، هو نفس الدافع الذي جعله يكلمنا في ابنه الحبيب .

وسلك الرب طريقاً سلطانياً حتى صار الكلمة جسداً . وفي الصفحات التالية بعض التفاصيل الخاصة بهذا الطريق ، لعلنا نكشف السر العظيم « الله ظهر في الجسد » . وبعد أن نوجد في دائرة الحس لتوارد ربنا فيينا وحولنا ، نستجيب لهذا التوارد بشكل حاسم وقاطع ، ويغدو الإنسان متصلاً ومتحداً بالله الحي ، منفعلاً به ومستجيباً له في كافة المجالات .

وتكلم في العلية كما تكلم على لسان الأنبياء
بأنواع وطرق كثيرة تكلم إلى الآباء . . .
وأخيراً وبطريقة قاطعة وحاسمة ، كلمنا في ابنه . . .
جميع الوسائل التي استخدمها الله قديماً وحديثاً ،
ليعلن بها عن ذاته ورادته ، نسميها ظهورات . أما
ظهور ربنا في جسد حقيقي مثلنا ومتحد به نسميه
تجسد الله .

الله الروح البسيط قبل أن يلبس جسداً ويتحدد به ليكون منظوراً من المؤمنين به ، محسوساً من المحبين له .
وقبل أن يلبس هذا الجسد كان الله الإله وما زال ،
موجوداً في كل مكان ، لكنه لم يكن مدركاً من الإنسان .
وبالتجسد أحس الإنسان قرب الهدا وحبه .

والقياس الذي يخدمنا في هذا الموضوع هو جهاز الاستقبال في الراديو والتلفزيون .

عادة يجلس الناس حول أحد هذه الأجهزة . ولا يسمعون أو يبصرون إلا أنفسهم وما يصدر عنهم ثم يدار مفتاح لأحد الأجهزة المذكورة فيمتلىء المكان بأصوات

الله القدس ي يريد الوالدين مصلحين ويريدهما
مشتركين معه في اعداد الطفل اعداداً ممتازاً . فينشأ
الطفل نشأة فريدة ، يستحق معها خلود الذكرى لامتياز
الرسالة ونبتها .

وهكذا ولدت العذراء مريم ابنة يواقيم ٠٠٠ وأم الآلهة .

في الهيكل :

وفي الوالدين نذرهما . وقدموا مريم الى الهيكل ،
عبدة فيه خادمة له . وحين احتواها الهيكل كانت من
العمر ثلاث سنوات . وقبل استقبال الهيكل لها كانت
العذراء كسائر الأطفال بلا أدنى اختلاف . ومع أنه ليس
بين أيدينا مرجع عن طفولة العذراء فوق الشبهات ، لكننا
لسنا نجد مبرراً لكي ننسب إلى هذه الطفولة أموراً
خارقة ، أو قصصاً عجيبة ، فاللها مع غناه هو أيضاً
لا يسرف ولا يبذر . حقاً انه لا يقترب ، لكنه حيث لا تلزم
المعجزة ، فهو ضئيل بها .

العذراء مريم في طفولتها كانت كحقيقة الأطفال ، في
حاجة إلى عناية الوالدين ورعايتها . وعلى شاكلة
الأطفال ، أذاها الجوع فأبكتها ، كما أبهجها الشبع

الصلة وتكرسوا لها حتى يستجيب لهم رب ويعطيهم
نسلاً ٠٠ والرب استجاب لجميعهم .

والتاريخ يحدثنا عن زوجين أضناهما احساس
الحرمان من النسل وهم يواقيم وحنة . طرقا كل باب
ولم يكفا عن الطلبة والصلة . وأخيراً قدموا للرب نذراً ،
أن الطفل الذي يوهب لهم يكون نذيراً للرب خادماً له في
الهيكل . كما كان الأمر مع صموئيل النبي . واستجاب
الرب الآله لهما وأعطاهما ابنة سميها (مريم) . هي
العذراء مريم أم الآله .

وما يسترعى الانتباه ، أن ارتباطاً عجيباً يربط
بين الصلاة التي ترفع من أجل الطفل قبل أن يحصل به
وبين الرسالة الخطيرة التي توكل إلى هذا الإنسان بعد
نضوجه واتكمال نموه ، كل إنسان رفعت من أجله صلاة
قبل أن تحمل به أمه أنيطت به مهام خطيرة جداً . هذه
الملاحظة تكاد تكون قاعدة . بل هي قاعدة بلا استثناء .

نستطيع أن نسمى هذا الطفل أينا للصلة .

بمعنى أن الصلاة التي سبقت الحمل اشتراك في
اعداد الطفل وتهيئته روحياً .

فى رعاية يوسف البار

تنصب وطاعة :

لا نظن العذراء تركت الهيكل فى يسر . بل نظنها أخذت منه كما لو كانت تنزع من مكانها المحبوب نزعا ، أو تقتلع منه أقتلاعا . لقد كان الهيكل سكنها المحبوب ، مكان عبادتها المفضل ، وارتبطت به ارتباطا روحيَا ونفسيا ، ولا سبيل لأنكار هذا الارتباط أو تجاهل أثره . وكل ركن من أركان الهيكل له في حياتها ذكريات سعيدة . ونحس أحساسا عميقا أنها أن كانت قد اكتسبت نموا أو اكتسبت جمالا فلم يكونا الا انعكاسا لتأثير الهيكل في حياتها الداخلية والعلنية . لذلك لا نتوقع منها الا أن تثن آثينا حين تنزع من مكانها المحبوب منها والعزيز عليها .

لم تستطع المطوبة القديسة مريم أن تكون كما أرادت ، الا أنها ، لطبعها الهدئة الوديعة ، قبلت الأوضاع فأرادات ما كان .

فى مكان آخر . اذا افتقر اليهما فى المكان الأصيل .. غاين اكتشفهما القديسة العذراء مريم ؟ لا شك أنها أقتربت الى صدر المها الحنون ، تختبر البنوة فى اتكلها والتجائها ، وتلتمس الآبوة فى حنانها وقدراتها . هذا علما بأننا لا نشك لحظة فى صدق المبدأ بأن التجرد فى ذاته يعد الانسان لأخطر المسؤوليات ونكملا لنا شدة القوة ، حين نمارس الشدائى ونعارض لججها .

على أن العذراء القديسة مريم ، ظلت كما هي في الهيكل ، نشطة ، في خدمتها ، عاكفة على عبادتها ، هادئة في حركاتها هانئة بقناعتها ، واستمر بها الحال كما هي عليه إلى أن بلغت الرابعة عشرة من عمرها . وعندئذ قرر قرار الرؤسأء أن يأخذها يوسف النجار البار ، خطيبة له .

والخطبة من الناحية القانونية تتم بعد رسمى ، وتنسب الخطيبة إلى خطيبها انتساب الزوجة . فتعيش معه في منزله إلى سنة ، في خلالها تصبح زوجة له من غير حاجة إلى مراسيم جديدة .

ذلك استحق أن يكون خطيبا العذراء مريم ، وأن يكون المسئول أدبيا عن هذه الأسرة المقدسة .

دائمة البتولية :

ان اتفاقا قد تم بين الطرفين أن يحافظا على علاقتهمما على مستوى الخطوبة معا ، ولا تتعادها الى درجة الزواج .

ويقينا ، ان اتفاقا كهذا ليس يسيرا على الخطيبة أن تعرضه أو تفرضه ، وحتى يتم بطريق سليم وبطريقة لا يذكرها عرف ، أو يترجح منها أحد الطرفين ، لا بد له أولا أن تتوفر له الآجراء المناسبة له . والجو الوحيد الذي يناسبه هو أن يبلغ كل من الطرفين درجة بالغة من البر والقداسة ، يتبعها سمو واضح ونضوج روحي ، ولا يبقى أمامهما إلا أن يتفرغا للصوم والصلوة .

البتولية بالنسبة للبتول كانت عقيدة وحياة وهدفا ، عاشتها وعاشت من أجلها .

والترفع عن الزواج والامتناع عنه بالنسبة للقديس يوسف غدا جوهرة ثمينة انكشف الغطاء عن لمعانها تدريجيا منذ أن دخلت العذراء بيته . أتيحت له فرصة التعرف على

كان عزيزا عليها أن تترك الهيكل ، لكنه كان أعز عليها أن تفقد سلامها . وفي أحساس الطاعة تغصبت وتدربت . فحملت معها قلبها الوادع إلى البيت الجديد .

وجريدة بالتسجيل ، أن المكان الجديد لم يغير من حالها ، بل هي التي استطاعت أن تحوله ، فطورت بيت يوسف ورفعته إلى ما يجب أن يكون ، فكان لها كما أرادت . في بيت يوسف :

لم يكن يوسف في حالة أدنى ، من الوصف الذي خلمه الكتاب المقدس على زكريا والمصابات بأنهما كانوا بارين وسالكين في جميع وصايا الله وأحكامه بلا لوم . ويهمنا في هذا المقام أن نبرز حقيقة على غاية من الأهمية ، وهي أن الروح القدس اختار العذراء ، وأعد العدة لتكون في مقامها المرموق ، واجتمعت للعذراء القديسة مريم كل المؤهلات لتكون أما للرب القدس . وأيضا ، وفي نفس القياس ، نقول إن الروح القدس اختار البار يوسف ، ليكون خطيبا للعذراء القديسة ، وببره يكمل مقاصد الله في حماية بتولية البتول ، وليشترك في تحمل مسئولية واضحة وبارزة من أجل الأبن الكلمة الأزلية . لذلك تقول عن بر القديس يوسف أنه كان من النوع الممتاز ، ولأجل

لذلك كان من الحكمة لا يرتكز الحب على أحسن الجمال في الجسد فقط ، حتى تضمن له صفة البقاء ولذة الاستمرار . وحرى بالجمال الجسدي الظاهر أن يمتد جذوره من أعماق النفس البشرية الندية ، ومن انفعالات القلب الظاهر ، ومع علمنا اليقيني أن العذراء البتول كانت واحدة من العذارى الفريديات في جمالهن - وشهد بذلك كل تقليد موثوق المصدر - الا أن جمالها أكتسب صفة الرقة والنعومة ، فلقد كان جمالا بارزا مميزا على جميع بنات جنسها ، في كل الأجيال .

ان القدسية في القدس المباركة جذبت عيني يوسف إلى التأمل في جمالها الخالد الذي يبطن جمال بشرتها . ولقد كانت على مستوى في التكوين الروحي والقومي الخلقي - فضلا عن كمالها الخلقي . ، واد التقى بها على حقيقتها ، أجل هذا الجمال واحترمه . تحقق هذه القدسية وأبي أن ينزل بها إلى مستوى الأرضيات . وهام بها هيااما لكنه رفعها ، وأكبرها أن تنزل كسائر النساء في علاقتهن بالرجال . على ذلك نستطيع أن نقرر أنه من أسباب المحافظة على بتولية البتول هو الحب الظاهر الذي انفع به قلب يوسف من نحو العذراء مريم . ومثل العذراء مريم لا يمكن أن تحب إلا بهذا النوع من الحب ،

القدسية عن قرب شديد ، ولاحظ حياة البتول وتتبعها عن كثب ، فاكتسب اراديا ولا اراديا ، لونا من الحياة ونوعا من السلوك .. اكتسب رقبا في التفكير ، وسموا في العاطفة ، وأصبح الشيخ المسن تابعا للصبية ومقلدا لها . متأثرا بفضائلها فأمن بما أمنت به وافتتح تماما بما نذرته أن يكون للرب الاله نذرا مؤيدا .. لذلك ~~لأن~~ نستبعد أن يكون هذا الموضوع - هو أن تظل علاقتهما على مستوى الخطبة فقط - كان موضوع مناقشة أو محاجة تناولها الطرفان في حديث جهري ، إنما في هذه التسليم انطلقت الفكرة من قلب العذراء إلى وجдан يوسف ، فوجدت منه استجابة سريعة ، وافتتحا تماما ، وبنفس المهدوء كان التنفيذ .

حب واستقامة : هذا الجسد نلبسه ، من أجله نفق الأيام والماء .

ولكي نوفر له أسباب الراحة والملائكة والزيينة لا يدخل في حسابنا كم نتكلف أو نبذل ، ورغم ذلك فكل واحد مما سوف يتنازل عن جسده ، كما يتنازل عن الثوب البالى ، في يوم من الأيام لا يعود هذا الجسد لأنقا بنا ، ولا نعود نحن محتملين له . فنفصل عنه انفصلا طبيعيا وتلقائيا .

ملك وعذراء

واحة للقداسة :

ما أروع الصورة .

صورة في لوحة حية ، ابدعتها يد الفنان الأعظم .

انه بيت ، وان شئت ، قل انه كوخ ، يقع في الناصرة ،
وكأنها الجزيرة وسط البحر الخضم ، او الواحة وسط رمال
الصحراء الجرداء ، وسكن هذا الكوخ مريم العذراء ويوسف
البار .

أسرة تجردت من جميع الكماليات ، وحين الحت
الحاجة إلى الضروريات ، لم تستجب إلى الالاح وانكرت
وجاهة الضرورة . وفي الوقت عينه انشغلت اشغالا جديا
باقتنا ، البر والقداسة وأولت هذا الأمر اهتماما الأول .
وعندتها كان كل ما عداه أمرا ثانويا أو ثانها ، بحيث
لا يستحق منها اهتماما أو التفاتا .

لذلك كان طبيعيا ، أن ترعى الملائكة هذا البيت ، على
المستوى المنظور والمستوى غير المنظور . وهي قاعدة تطبق

لأن شخصيتها الطاهرة تفرض على الآخرين من عشيرتها
قداستها ، كما أنها تفرض عليهم نوع الحب الذي يتبادلونه
معها ، وغير ذلك لا يستطيعون .

هذه الحياة العفة فتحت أمامها آفاقا أخرى من
العفة . والعفة اطلاقا ، هي الفضيلة في أرفع مستوياتها .

لم يعد يعنيهما أن يجمعوا كثيرا من متاع الدنيا .
كما أنه لم يضنهما كونهما لا يملكان غير قوت يومهما .
لم يكن الغنى شهوة يشهيانيها ، وأيضا لم يضايقهما
الفقر مع ما اجتمع معه من ضيق وعز .

على ذلك لا نقر الا الصدق حين نقول ان ضيافة
يوسف البار للعذراء القديسة مريم أحثت انقلابا في بيته
المتواضع . وكان يوسف شخصيا أول المستفيدين من هذا
الانقلاب . لم تعد العذراء عبيا أو ثقلا . بل كانت نعمة
جزيلة انعكست على بيت يوسف بالبركة واجتمع لهذا
البيت كل أسباب القدسية والترفع والعدفة .

بذلك تتأكد الحقيقة أن العذراء هي البطل دائمًا .

المحبة والخوف لا يجتمعان :

لا تخاف أيتها العذراء مريم . هكذا يوصيها الملاك
ال الكريم .

لا نستطيع أن ننكر ما للمفاجأة من أثر في نفس
الإنسان وعلى أعصابه ، ولقاء الملك ترك في القديمة مريم
أثراً أبعد من كل مفاجأة . وفضلاً عما ينطوى عليه ظهر ور
ملك روحي من خوف في الإنسان ، فان الملك في هذا
اللقاء التاريخي ألقى في مسامع العذراء كلاماً جعلها في
مكانة أكثر مما يحتمله تواضعها الجم . فكانت في لحظة
واحدة ميداناً تتحرك فيه مشاعر وعواطف لا حصر لها .
واستجابة وجهها الصبور في قسماته وسماته لمشاعرها
المفعولة . فتارة تصرف خوفاً ، وتارة أخرى تحمر خجلاً .
الا أن ملك الله المرسل لم يدعها نهياً للانفعال ، وفي رقة
ولطف قال لها (لا تخافي) .

لا تخافى يامريم لقاء الملائكة ... لأن كل الملائكة فى خدمتك .

لاتخافى التكليف الخطير ، لأن من وجد نعمة عند الله
كلف بأثقل المسؤوليات . وإذا كنت قد فقت جميع الناس
نعمه ، فان مسؤوليتك ستكون اضخم مسؤولية كلف بها
انسان على مدى الأيام .

سلام لك أيتها المثلثة نعمة ، الرب معك .

إلى أقصى طاقة الإنسان في الافتقاء ، اتسعت
القديسة لتمتنلء من كل نعمة في جميع الاتجاهات .

فعرضـاً وطولاً ، كانت العذراء مريم أمام الناس
بلا عيب ، وبكل امكانياتها انجذبت الى السماء ارتقاءاً
غا مستقبلت كل يوم نعمة فوق نعمة وازدادت يومآ فيوماً
عنقاء ونقاء .

لذلك كانت البتول القديسة مريم مفردة متفردة .

٦٣ بين بنات جنسها كانت وحيدة ، ممتازة في قدراتها ،
بارزة في فضائلها و نحن نرى أن هذا هو الأساس الذي
استندت اليه السماء في اختيار العذراء أما للله .

فِي غَيْرِ عَنَاءٍ ، نُسْتَطِعُ أَنْ نَقْرَأَ مِنْ خَلَالِ تَحْيَةِ الْمَلَكِ
لِلْمُعْذَرَاءِ ، أَنَّ الْمَلَكَ الْعَظِيمَ جَبَرِائِيلَ التَّزَمَ بِقَوَاعِدَ حَاسِّهِ ،
وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا . لَا شَكَ أَنَّهُ أَحَصَ احْتِرَامًا وَتَقْدِيرًا
لِلْقَدَاسَةِ وَالطَّهُورِ وَالنَّبْلِ فِي شَخْصِيَّتِهِ الْفَذَةِ . . . وَلَا عَجَبٌ . . .
فَإِنَّمَا تَرَى وَجْهَ نَعْمَةِ أَمَامِ اللَّهِ لَا يَدِي أَنْ تَلْقَى نَفْسَ النَّبِعَمَةِ بَيْنَ
مَلَائِكَتِهِ الْكَرَامِ ، فَمِنْحُونَهَا كُلُّ تَعْظِيمٍ وَتَكْرِيمٍ . . . وَفَعْلًا
صَدَرَتِ الْأَوْاْمِرُ لِجَبَرِائِيلَ وَكُلِّ الصَّفَرِ السَّمَائِيِّينَ ، أَنْ
يَكُونُوا فِي خَدْمَةِ الَّتِي سَتَحْمِلُ فِي بَطْنِهَا جَوْهَرَ الْمَلاَهُوتِ .

عذراء تحبل ٠٠٠ كيف ؟

ثم رفع القناع عن السر العظيم ، اذ دقت ساعة الزمن أنه بلغ الماء . في هذه اللحظة بالذات افتتحت السماء وانبسطت الأرض ، ووُقعت السماء على عنق الأرض وقبلتها ، وارتعشت العذراء للخبر لأنه في وقته أكثر من احتمالها ، وفي عمله أبعد من اتساعها ، وفي اعجازه لم يسبق له مثيل ولن يكون له شبيه .

كيف ٠٠٠ هكذا استوضحت العذراء القدسية مريم .
عذراء تحبل ٠٠ ؟

انه كلام جديد ، وأيضا ينوط على تهديد .

انها لا تعرف رجلا وليس في برنامجه أن تعرف رجلا ، فهل تريد السماء منها أن تكسر نذرها ؟ هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من الإيضاح والتأكيد ، ان السماء ترفض نذرها . وهل يمكن أن تكون أما من غير أن تتترن برجل ، اقتران الزواج ٠٠ وكيف ؟

وعلى ذلك نقول ان جواب الملائكة على استئضاح العذراء كان في الحقيقة جوابا للكلام الذي نطقته العذراء مريم ، وللتتساؤل الذي ابطنته في قلبها .

سيحل الروح القدس فيظهرك ويقدسك بلا تمام .

ثم منك وبالروح القدس يتهدأ ناسوت ينمو نمو الجنين ، ويختصر لقوانين الطبيعة ، ويتحدد في داخلهما باللاهوت .

تلدين ابنا تسمينه يسوع .

انه ابنك الوحيدي ، وأيضا ابن الله الأعلى .

لأنه **لأنه** هو الله المتأنس ، لاهوته **ليفارق** ناسوتة ، ويشبه البشر في كل شيء ما عدا الخطية . لأنه بريء مما لصق بهم ، لأن كل واحد منهم بالاثم حبل به وبالخطية ولدته أمه . وأما الناسوت ابن الله فقد تهيا من غير زرع بشر . فلا يرث عن آدم ما ورث أولاد آدم عن أبيهم من خطية . انكشف الحجاب عن الحقائق السامية . ولم يعده الأمر بهما ، أو تحيط به غيوم الشك . إنها عذراء وستظل عذراء . وستتحمل وتلد ابنا . هو أيضا ابن الله .

لذلك انحنت العذراء بالطاعة ، واستشعرت مكانها من الهدا . إنها أمة الرب وعبدته وانحنت بالروح ونطقت قولها المخالد (هؤلا أنا أمة الرب . ليكن لى كقولك) .

العذراء .. فالسلام طريقه والسلام رسالته ، والسلام
وسيلته والسلام غايتها ، وبالسلام افتتح الملائكة حديثه
مع العذراء في بشارته الخالدة لها بالابن الوحيد .

كيف ينزل الابن ويتجسد من غير أن تترافق
النجوم أو تتحدى قباب السماء .

لم نكن ننتظر أقل من مركبة نارية يحتلها الابن
الأزلى في موكيه النازل الى الأرض كتلك التي حملت ايلياه
تحيطة جمahir الملائكة من كل جنب .. وما الى ذلك من
الواكب المفترة ، التي تشد انتباه البشرية كلها ، تجعلها
في حالة من اليقظة والوعي ، حتى اذا دعا الداعي ، نجد
في البشر جميعا استعدادا للاستجابة والتصديق والايمان .

الناس في كل زمان يطلبون معجزة يتطلعون اليها
ويتسلون بها ، والرب يعطينا معجزة نعيش فيها . انا
دائما نطلب ما يثيرنا ، أما الرب فانه يوفر لنا ما يشبعنا .
وشتان بين طلب الانسان ، و اختيار الرب هنا .

وفي نفس اللحظة التي انحنت بكلياتها خاضعة
لسلطان هنا وارادته صدق معها وفيها قول الملائكة (قوة
العلى تظللك) . وهنا حل فيها الاقنوم الشانى الابن
الأزلى . وتتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء .

بهذه البساطة :

انطلق الملائكة الى سمائه وانطوت السماء الثانية
(العذراء) ووطت معها سرها العظيم . ومنذ هذه اللحظة
دخل ابن الله دائرة الاخاء وصار في الهيئة كأنسان .

بهذه البساطة نزل ابن الله من السماء وتتجسد .

كل الله الآباء بالأنبياء بوسائل أحيطها شيء غير
قليل من المحافظة فكان لبعضها مقدمات رهيبة او ختامات
مخيفة . أما التجسد فقد كشف الغطاء عن سره المبارك
للعذراء القديسة مريم في سكون الليل وفي هدوء النفسين .

أظن - ظنا قريبا من المصاب - أنه في تلك الليلة
المباركة قد صدرت الأوامر للعواصف بأن تهدأ وللبرق
والرعد أن تلتزم صمتا ، وللأمواج الصاخبة أن تنبسط
لان رئيس السلام قد نزل الدرج الى الأرض الى بطن

الأشهر الثلاثة القائلة للبشارة

بعد البشارة مباشرة :

بعد البشارة ، كل شيء في حياة العذراء غدا خادما للغرض الأسنى وهادفا نحو تحقيق العمل الأعظم ، كل ما فيها وحولها اكتسب طابعا مميزا وطعمها شيئا . ومن غير استثناء لم يعد في حياتها ما نستطيع أن نسميه تافها ، كما أنها لم تعد ترى في الوجود ما لا يستحق أن توليه اهتماما .

للتتأملها على سبيل المثال ، وهي تستمع إلى دقات قلبها المنتظم ، أو تتتابع حركات تنفسها الرتيبة ، لابد أنها كانت تجتر أحاسيس الفرح والسرور .. ونالت نفس المقدر من البهجة حيث أقبلت إلى مائدة الطعام وأفرغت في جوفها وجبة منه أو جرعة من الماء .. لهذه الوظائف الفسيولوجية الارادية والملارادية التي كانت تقدم طاقتها للجنين الالهي وتتوفر له الأسباب الطبيعية لكي ينمو جسديا وينضج . وهي بهذه الوظائف وبغيرها من الوظائف الأخرى ، كانت سعيدة أصدق السعادة هانئة أبلغ المهنئاء . كل شيء في حياتها غدا أمر بالغ الأهمية بعيد الآخر .

بها أقامت العذراء القديسة مريم الحدود الفاصلة بين الحياة الهدافة والحياة التافهة ، ولاشك عند جمهرة المؤمنين أن الحياة التي تتفرغ للعمل الأمثل ، وفي خدمة التجسد المبارك ، يتحول ما يتصل بها إلى نعمة تتكامل مع غيرها من النعمات لتصنف من الحياة كلها أنشودة الحب والبذل ، للرب الله الذي صار جسدا وحل بيننا .

في قلب المبتول انطوى سر عظيم وفرح عظيم .

ولم يكن ممكنا أن تفتح قلبها ليوسف وتكتشف له عن مكنوناته . فالسر الذي لفها كان أعظم من نطقها وأجل من عبارتها . وإذا أحسست العجوز لاذت بالصمت ولكنها أحسست الرغبة الملحة أن تلقى من يشاركها شعورها ، ويعجب معها من فرحتها وسعادتها . فاستدركت عبارة الملاك لها في البشارة السعيدة أن اليصابات هي أيضا حبل في شيخوختها . فهتف فيها الهاتف أن تذهب إلى جبال اليهودية حيث تسكن اليصابات مع الكاهن زكريا . فاستجابت للنداء ولم يكن ممكنا إلا أن تستجيب .

وراء هذه الاستجابة يبطن دافع آخر ، قاصر على القديسين .

والعجبية لكتيهم . فان اليصابات بمجرد أن سمعت صوت العذراء يلقي بالتحية والسلام على أذنيها ، امتلأت من الروح القدس ، وانكشف السر العظيم الذي انطوت عليه العذراء القديسة مريم ، فصرخت بصوت عظيم وقالت (مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك) فوفر الروح القدس على مريم مشقة التفكير وكيفية عرض سرها الخطير ، الى آخر ما جال في فكرها .

كانت زيارة القديسة مريم لاليصابات برقة تجل عن الوصف ، برقة بلغت في شمولها مبلغا ، ان الروح القدس ملا اليصابات .

وشك انه توجد بركة خاصة بالقديسين الذين يحملون في قلوبهم ابن الله . أما العذراء القديسة مريم ، ففضلا عن ذلك لها بركتها الخاصة بها القاصرة عليها لأنها حملت في بطنها ابن الله الأزلی متحدا بالناسوت ، الذي أخذه منها فحيثما حلت أصوات ، لأن في بطنها شمس البر بكامل ضيائه ، ابن الله الكلمة الأزلی .

لولا حلول الروح القدس على اليصابات وامتلائها به ، لم يكن ممكنا لها أن ينكشف السر العظيم لها ، وتعلم

دافع يربض خلف شجرة اليمان الضخمة المثمرة . وهو يعمل دائما على تنميتها وانضاج ثمرها . واليمان يزدهى ويزدهر ، حين يلتقي قديسون بقديسين آخرين . يشتراكون معهم في نفس الاحساس ، ويجتازون معهم في نفس اللون من الخبرة الروحية . وفي هذه الجلسات يسوى اليمان المتواضع بين الهمامات والقامات ، وقد يجلس الشيخ تلميذا لفتى ، والعكس أيضا صحيح . هذا المبدأ سجله الرسول بولس في رسالته الى رومية حين قال (لنعزى بينكم باليمان الذي فينا جميعا ايمانكم وايماني) ، وبنفس الدافع سعت العذراء القديسة مريم الى القديسة اليصابات ... انه لقاء شهي ، يجد فيه القديسون تعزية ويسفرون به الى ثرواتهم الروحية كانوا مباركة .

من أين لي هذا ؟

استاذنت العذراء القديسة المباركة يوسف خطيبها في أمر هذه الزيارة ، فودعته وسعت الى جبال اليهودية . وسارط طريقا طويلا لم يكن خاليا من الاتهاب او التضحية ، الى أن أشرف على بيت الكاهن زكريا واليصابات . ثم دخلت على اليصابات وسلمت عليها ، فكانت المفاجأة الغريبة

بالنسبة للعذراء ، وهو المكان الذي يحتله جميع القديسين
في مختلف درجاتهم بالنسبة للعذراء المبتول مريم .

حتى الجنين :

حين قامت العذراء بزيارة اليصابات كانت الأخيرة
حاملا ، وقد جاوزت الستة أشهر بقليل . وتقول اليصابات
عن الجنين في بطنهما (فهوذا حين صار صوت سلامك في
أذني ارتکض الجنين بابتهاج في بطني) .

عبادة وسجود . ففضيلة لم تنسب لانسان وهو بعد
في بطنه غير يوحنا المعمدان . لف الابتهاج الذي غمر
اليصابات ~~يوحنا~~ المعمدان الجنين . فسجد لابن الله وهو
في بطنه أمه . ولا نجاوز الصواب لو أرجعنا هذا المسجود
إلى وعد الملائكة لذكرها عن يوحنا أنه يمتليء من الروح
القيس من بطنه أمه . وقد حدث هذا عملياً حين التقت
العذراء باليصابات ، وأمتلأت ومعها الجنين في بطنهما ،
من الروح القدس .

انه سجود من معطلات الارادة الحرة أو شوك الأفكار
الطلبية . ومن كل ما نظن مؤهلات ومميزات في الانسان .
وفي كثير من الأحيان تكون بعض المؤهلات المعقولة معطلات
للطاعة البسيطة لارشاد الروح القدس .

أن مريم العذراء المظهور ، هي أم الرب . فلعلت علمت علما ليس
من المستطاع أن تقبله قبولا سهلا أو يقع عليها وقوعا
هينا ، لأنه فوق الادراك والقياس اليومي . وهكذا كانت
متعلمة من الله . وبذلك نخلص بالقىاعدة ، أن المعرفة
تجيء دائمًا لاحقة لحلول الروح القدس والامتناء به .

ادركت اليصابات المقام العجيب الذي ارتفعت إليه
العذراء القديسة مريم . فحسبت زيارتها لها تنازلا من
العذراء وتشريفا لها فقالت (من أين لي هذا أن تأتي أم
ربى إلى) .

نقطت اليصابات بهذا النطق ولعله هينا من يظن أنه
نطق يدخل في واجب الضيافة ومجاملاتها .

وليس حتما أن يكون مقصودا به كل ما انطوى عليه
من معان . لكننا قبل أن ندخل في متاهات الاحتمالات ،
 علينا أن نعلم أن هذا القول قالته اليصابات بعد أن امتلأت
من الروح القدس . فهو اذا نطق للروح القدس على
لسانها . ~~والروح~~ القدس في كل قول لا يدعى التواضع ،
 كما أنه لا يقول إلا الصدق . في هذا المقام وضع الروح
القدس القديسة مريم ، كما وضع اليصابات في مكانها

في أحيان كثيرة يطوى المؤمنون في أعماقهم جوهرة
ثمينة ، تظل فيهم محفوظة ، لا يبدو منها على ظاهرهم شيء ،
إلى أن يلتقوها بمؤمنين قديسين ، ويلمسوا فيهم ويسمعوا
منهم صدى الواهب والعطايا المحفوظة عندهم ، فيتجاوزون
معهم . فتطفو الكنوز على السطح وتترجم عن نفسها في
بهجة القلب وانسياب العواطف . وتنطقهم قوله يعبر
عن عطية الله العظمى في غير اسراف وفي غير اقتصاد
أيضا .

على هذا النحو نطقت عواطف مريم البتول بوحي
الروح القدس تسبيحة بلغت من القوة والعمق والمسعة
والشمول ما نتعجب له . كيف لفتاة كمريم العذراء وهي
مستواماً الريفي والثقافي أن تعبر كل هذه المعانى ؟
و قبل أن يذهب بنا التساؤل بعيداً حرى بنا أن نتعرف
بأننا لا ننتظر أقل من ذلك من فتاة حل عليها الروح
القدس ، وظلتها قوة العلي ، وسكنها الأفونوم الثنائى
فضلاً عن السنين الطويلة التي عاشتها في الهيكل .

تأملت العذراء عمل الله العظيم ، فائق المعرفة ،
ابتداً بنفسها وبحالها ، ما كانت عليه وما أصبحت فيه ،
واكتشفت أنها مثل المنظور للعمل الغريب الشامل الذي
يمتد مع الأجيال إلى أبد الدهور .

أعلم لا يعني هذا أننا لكي يتحقق لنا الامتلاء بالروح
القدس ، لابد لنا أن نلغى العقل والارادة ، إنما يعني أن
الامتلاء يسمى ~~بالذهول~~ ، ويتحرر بالارادة ، من قيود
~~تحلها~~ ~~المجسدة~~ الشهوانى . وهذا ذر تربط بالروح
القدس فنشبع به ونكتيف فيه ، فيكون منا في مركز
المدببر ، ونكون منه في مكان التبعية وللطاعة ~~والغاية~~

أعظم الرجال من يبلغ البساطة في الإيمان مبلغ
بساطة الأطفال ، من سجد للرب بالروح القدس سجود
المجنين يوحنا العمدان وهو في بطنه أمه .

النشيد الحال :

انفعلت العذراء لقاء اليصابات ، فاستجابت لهذا
اللقاء روحياً وعاطفياً . وأنطقها الروح القدس تسبيحة رائعة
بالغة العمق ، أرسلتها في عبارة متجانسة متقابلة
ومتطابقة . أقرب إلى الشعر الموزون منها إلى النثر
المرسل . ويمكننا تسميتها بمزمور العهد الجديد . لقد
غداً هذا اللقاء وكأنه زيت يضيّف إلى نار الروح القدس
الذي حل على العذراء ، فازدادت التهاباً وأشتعلتا ،
ووقفت بالتعزيرية التي سجلتها في حديث أصبح على مر
الأيام نبعاً للعزية المباركة لكل من ورد من مائه .

هذا هو النشيد الحلو .

نشيد يحلو في فم المخلصين الذين يصدق عليهم
القول (لأن القدير صنع بي عظامي واسمي قدوس) .

انه النشيد الذي لا يدرك عمقه واعجازه الا النفس
التي جازت عملية التغيير والتطوير . ويزداد فينا دافع
تمجيده وتعظيمه من أجل عمل شدة قوته في العالم حولنا
في جيلنا كما في دهر الدهور .

وللمؤمنين بهجة تبلغ مرتبة النشوء ودرجة
الاشباع . انها بهجة الروح . بهجة تتمتع بحسانة
ومناعة ، فيمتنع على أسباب الحياة العادمة أن تناول منها
أو تطليق من جذورها . انها بهجة قاترة على الذين ذاقوا
المخلاص . بهجة تزداد مع الأيام حدة وقوة ، لأن للخلاص
كل يوم كأسا حلوة ، يشربها المؤمنون ، والبهجة كالنور
تزداد اتساعا حين يشترك معنا في نصيبها كل الناس .

لم نحاول بهذا أن نغوص كثيرا في أعماق هذا
الزمور الخالد ، لأنها تسبحة العذراء المطوبة ستنظل إلى
الأبد من الأقوال التي تحفظ بروعتها كلها حافظنا على
نصها وروحها . وكل محاولة كلامية لفظية لكشف النقاب

وتحقيقها أيضا اتضاعها برقة حالها من كل وجه ،
ورغم ذلك اختارها الرب ، مميزة لها على جميع قريناتها .
وعلى هذا القياس نستطيع أن نسمى اختيار العذراء هو
عملًا ثوريًا تقوم به السماء لتقلب رأسا على عقب جميع
الأوضاع الخاطئة التي كانت تسود عالمنا . إنها ثورة
من سماتها الوعي والبناء والترفق . ومن أثمار هذه
الثورة أن يتشتت المستكبارون ، وينصرف الأغنياء جياعا ،
وينزل الأعزاء عن الكراسي . لأن الرب صنع قوة
بذراعه .

ومن أهداف هذه الثورة أن يشبع الجياع ، وأن
يرتفع المتضعون . وأن رحمة الرب إلى جيل الأجيال
للهذين يتقونه .

جميع الأجيال لابد لها أن تطوب العذراء مريم .

إنها العذراء المثلثة نعمه .

ولأنها العذراء التي حملت الكلمة الأزلية في بطنها .
ولأنها هي التي نطقت هذه التسبحة الخالدة .

ولأسباب أخرى تتصل بحياة الرب وبصلبيه .

أجل كل هذه الأسباب لا تستطيع البشرية إلا أن تطوبها .

بمولد الابن للشيخين المتقدمين في السن . واستمعت إلى
ذكرها وهو ينطق أول الكلمات بمجرد أن كتب على لوح
أن ابنه يسمى يوحنا . واستمعت بكل قلبها وفكيرها ،
لأنها كانت تحفظ الأمور في قلبها . استمعت إلى زكريا
وهو يتنبأ وأصغت إلى حديثه لأنه كان يشير إلى ابنها
الذى حملته في بطنها .

بعد ذلك عليها أن تعود إلى بيتها والى خطيبها
في الناصرة .

عن حلوتها تقلل من طلاؤتها . هي عذبة كما هي في
التردد والتأمل وليس على نفس المستوى من العذوبة
حين نحلل ونفسر .

حسبنا من كل ما قيل ، أننا قدمنا أن نصنع إطارا
بامتنا ، يبرز جمالها على الطبيعة من غير صناعة .

ولادة يوحنا المعدان :

مكثت مريم العذراء ثلاثة أشهر ضيفة على اليصابات
الباراء .

وختام هذه المدة يوافق موعد ولادة يوحنا المعدان .
ومع أنه لم يذكر أحد البشيرين ، أن العذراء حضرت
ولادة يوحنا السابق ، لكننا استنتاجاً نستبعده أن تترك
العذراء نسيبتها قبل أن تشيد بنفسها هذا الحادث
السعيد الموعود به من السماء . فضلاً على ما توصي به
التقالييد العامة في مثل هذه المناسبات بأن يتحمل
الأباء مشقة السفر للاشتراف فيها ، فكيف أذن وقد
كانت العذراء في البيت في نفس الموعد ؟ لذلك من قبيل
تغلب الظن نقول إن العذراء لم تترك جبال اليهود إلا بعد
أن ولد يوحنا المعدان ، وشاركت المؤمنين فرحتهم الكبيرة

جناحيه ، فظللته بحنو طاهر ، ولطف جميل ، وغمرته برقة
لها هدوء التسليم ، ومن قلبها الشفوق الحنون انبعثت
عواطف غاية النبل والحسانية .

كل ما سمع عنه يوسف في وصف الملائكة
وما يتجللون به من ظهر وصفاء ، استطاع أن يلمسه عن
قرب خطيبته المحبوبة مريم . وكل ما قرأ وسمع في وصف
القداسة والبساطة رأه رؤى العين في حياة مريم القدسية
التي تسكن بيته .

استحققت مريم العذراء أن تكون محبوبة منه كل هذا
الحب لأنها كشفت عن جمال مفرط ، جمال ما هو إلا حصيلة
القداسة والطهارة ، فانجذب إليها وأحبها محبة خالصة
تماماً من شواشب المادية ودواتع الملكية .
طالت بهما السعادة إلى شهور متواالية .

ثم ... شيئاً فشيئاً ، أخذت حواسه تصطدم بما
لم يخطر له على بال . واستطاعت عيناه أن تمسكاً بأدلة
الاتهام ، لأن بطنها ارتفع ارتفاعاً ملحوظاً ، وللحال
احتاطه غيوم ودخلت نفسه في ضباب كثيف ، فلم
يعد يرى مريم ، أو لم يعد يستطيع أن يراها وهي على
هذا الحال فلقد بدت علامات الحمل واضحة على العذراء ،
وأكملت الدلائل ليوسف أن مريم خطيبته المحبوبة لم تعد

يوسف البار
محبة وغيوم : لا نجاوز الصواب لو قلنا إن يوسف استقبل مريم
العذراء بعد هذا الغياب استقبلاً حاراً لأننا نظن أن الأمر
لم يكن سهلاً عليه أن يفارقها كل هذه المدة لذلك نظن
إيضاً لم يكن بخيلاً في إعلان أشواقه وعواطفه .

لأنستطيع أن نغفل جانباً على قدر كبير من الأهمية
وهو أن محبة قوية وشديدة ربطت يوسف وقيادته إلى
خطيبته مريم . إنها محبة في نوعها وفي عمقها لها لون،
جديد عليه كل الجدة . لها ذوق عذب في فمه وطعم لذيذ
في قلبه . غدت له غذاء يجتر منه كل ساعات يومه ، كما
أضحت نشيداً يحلوا له أن يردد في ساعات العمل ، كما
في ساعات الراحة . لاشك أن مريم آنسست هذا الرجل
الشيخ وملأت عليه كل فراغاته .

دخلت مريم بيت يوسف وكانت تلتمس أسماء
وحمايتها .. فكانت له كالطائر المفرد الذي بسط عليه

وهنا يجدر بنا أن نزيح الغبار عن الوجه اللامع للبر . ذلك أنه أحيانا تكون الدينونة من صميم حقوقنا وسلطاتنا ، لكن البر الحقيقي يجعله من الأفضل لنا أن نتنازل عن هذا الحق أو ذلك السلطان . والكتاب المقدس يقرر هذه الحقيقة حين يقول عن يوسف انه كان بارا ، وأنه كان بارا لم يرد أن يشهرها ، بل أراد تخليتها سرا .

وليسنا نظن القديسة مريم أنها كانت فى معزل عما يعتمل فى قلب زوجها من هموم ، أو يعانيه من أفكار سود . فلابد أنها فى أول الأمر لاحظت اعراضه والتزامه بالصمت ، لذلك يقول البعض ان صوم السيدة العذراء يذهب قدি�ما مع الأيام قدم شكوك يوسف اذ كرست لالها صوما حتى يرفع عنها الرب هذه التجربة . وبالصوم والصلوة قرعت أبواب القدير ليرفع عنها شكوك يوسف ، ولويكشف له الرب السر .

اقرعوا يفتح لكم :

لم يكن يوسف قاطعا فى قرار اخلاء العذراء سرا . بل كان متربدا مسوفا فى تنفيذه . وهذا ما نستخلصه من عبارة انجيل متى (ولكن فيما هو متذكر فى هذا الأمور)

هي التي لا تعرف رجلا ٠٠٠ وفجع يوسف فى مريم فجيعة صعقته وأدمته .

اذ كان بارا :

كان يوسف بارا . حقيقة لا شك فيها .

ومن أجل هذا اختارت العناية الالهية ليكون خطيبا للعذراء المقديسة . وازداد بره جلا ، ونضوجا لتابعته لحياة مريم ومحاولته التقليد بها والاكتساب من برها ما استطاع الاكتساب . وحين يجتمع الاتقياء معا تكون التقوى همهم الأول وتجارتهم الأولى . فيها يتخصصون، ومنها يكسبون الربح الأبدي .

لكن بعد أن عكرت عليه الشكوك صفو حياته ، واضطرب قلبه بالأفكار والمهاجس والظنون ، لم يعد قادرًا أن يتخذ العذراء ، كما كان يتخذها سابقا ، شريكته في كل نشاط كما أنها لم تعد مصدر سعادته وفرجه .

على أنه لم يعد قادرًا أن يصبر أكثر مما صبر .

كما أنه ، إذا أحبها محبة بريئة من الأنانية ، لم يستطع أن يجعلها عارا وأمثولة بين الناس .

بمعنى أن ذلك القرار لم يكن قد قطع فيه برأي بل كان
موضوع تفكير ، وأخذ ورد ، واعادة النظر ، وكان المسكين
من الناحية العملية نهبا لغيره وقلق ، فأصبح عاجزا عن أن
يتخذ أى قرار حاسم .

تكاد تكون قاعدة بلا استثناء . إن البر والدينونة
لا يجتمعان ، يختلفان في المنبع ويتعارضان في الهدف .

مع الأبرار يتعامل الملائكة . يلقونهم ويتحدون اليهم
بتكليف من ربنا القدس فيكشفون لهم عن أعظم الأسرار
وأدقها . وحول خائفي الرب يحل ملائكته الأطهار ،
يحمونهم ويخدمونهم ويشفعون فيهم ، من أجل صلواتهم
وصيامهم ، وبرهم واستقامتهم . وعلى ذلك نقول إن
الملائكة ظهر ليوسف استجابة لبره واستجابة أيضا لصلاته
العذراء وانسحاقها .

استيقظ يوسف :

كانت تلك الليلة في حياة يوسف حاسمة ، وعملت
رؤيا الملائكة وحيثه معه كالمسكين التي بترت أسباب الشك
والقلق وعادت إليه الحياة في سلامها وهدوئها . وأضافت
الرؤيا اليهما تأكيدا لايمانهما فغمرت حياتهما السعادة .
وما أن أقبل المصباح حتى تغيرت نظرته إلى العذراء ،
وخل من نفسه اذ تذكر حكمه السابق عليها . ولستنا
نستبعد أنه اقترب إليها بطيء الخطى ، ثابتها ، وفي أذنيها

كان يوسف في دوامة الالتباس ، تلفه وتشققه ،
والعذراء من الناحية الأخرى ، انطوت على نفسها لا تملك
غير سلاح الصلاة ، تنسلب فيها ، وتسأل الله المذى
اصطفها ، أن ينجيها وينجى يوسف خطيبها ، مما لم
بها من عناء .

على أن السماء لم تعد موصدة دون الناس ، كما كان
الحال قبلها .

في بيت يوسف شخصيا يسكن من نزل درجات
السماء إلى الأرض وسكن بطن العذراء .

ونجد شبهها كبيرا بين هذا المظهر ومنظر التلاميذ
الذين أرهبتم الربيع ، بينما كان يسوع نائما في السفينة .
ورق قلب الرب الإله وتحن عليهم . وأرسل ملاكا ترائي
ليوسف في حلم . وكشف الملك النقاب عن السر العظيم
وقال له « لا تخاف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به
فيها هو من الروح القدس » .

في ملء الزمان

كتاب :

هل خطر ببال الخطيبين هذه التكاليف الباهظة التي
دفعها جهداً وعناءٍ

وسواء خطرت لهما على بال أو لم تخطر فانهما لم يحسبا حساب النفقه ولا ارتفعت من علبيهما آنات مستاءة ضجرة . ان كل تضحية مهما بلغت ، لا تساوى هذا الشرف الكريم ، وهو أن يولد لهما ابن ، فينتصب ليوسف جوازا ، وليريم صدقها وحقا .

أزفت أيام الوضع وكادت أيام الحمل أن تبلغ تمامها ، واستعدت القديسة مريم للحادث الجلل ، وشاركتها يوسف البار نفس الاستعداد والتلهف .

حتى هذه اللحظات ، كانا ما زالا في الناصرة ، يزالان عيشهما المهدى ويستمتعان السكون الوداع . لكنهما فوجئا بما لم يكن في الحسبان . ذلك لأنه صدرت الأوامر من أغسطس قيصر أن يرتحل كل فرد إلى مدينته وهناك يكتب . ويعنى ذلك أنه يتهم على الخطيبين أن يسافرا حالا إلى بيت لحم مدينة داود . ولا يستثنى الأمر أحدا

أسر إليها بكلمات تتم عن الاعتذار والأسف ، ان كان قد بدر منه ما يسىء إلى شعورها الرقيق . ثم جلس بجوارها يحكى لها كيف أن ملاك رب أدركه أخيرا وأعلمته بالحق كله . وإن فانه قد بلغ قمة الشرف والمجد إذ غدا خطيبا للممثلة نعمة وأم الله .

يا للإنسان المسكين . . . لعله هكذا ناجى نفسه .

حسبت ابن الله ابنا للعار ، حكمت على كلية المداومة بأنها احدى الساقطات .

لولا أن الرب يصوب أخطاعنا ويسهر على حياتنا ، ما كان في الأرض قديس ، ولا فرز للخدمة خادم .

أثر هذه الرؤيا أحس يوسف بمسئوليته كرجل ، وحملها في سرور ومثابرة . وانا لنذكر للبار يوسف رعايته للعزراء ابان حملها ومشاركتها في كل المسؤوليات من أجل الطفل في كل مرحلة كما في كل رحلة .

وجدير باللحظة ، أنه منذ هذه الحادثة ، فان جميع ظهورات الملائكة لهذه الأسرة كانت ليوسف تأكيدا للحقيقة أنه جدير بهذه المسؤولية . لذلك فاننا لا نجد أية مبالغة في القول عن يوسف (انه مبارك بين الرجال) على قيامن ما قيل للسيدة العزراء مريم (مباركة أنت في النساء) .

ولم تتسائلى لماذا لم يتدخل القدوس ليمنع عنك هذا الضغط من التجارب ، وينجو بك من اتفاق الناس مع القدر .

لا نظرك قد أصابك أى نوع من الشك أو القلق لأن قوة العلى ظهرت منذ وعدك الملك بها ، مظلة لحم .

مكان لابديل له :

ما زالت العذراء ومعها يوسف يلهمها البرد بزمهريرة .
ولم يجدا لها موضعًا في المنزل الصغير الخاص بالقرية .
ثم حدثت الماجأة الكبرى إذ أن المخاض دعهما بغير استعداد ويوسف في حيرته لم يكن يعلم كيف يتصرف .
بينما تمسك به العذراء لأنها كانت في حاجة شديدة إلى رفقة . و بينما هو في هذه الحيرة ، أيركض مفتشًا عن مكان يأويهما أم يبقى معها لأنها تمسك به ؟ جذبتهما العناية الالهية إلى حظيرة . وفي مذود وتحت مخيم للبهائم وضعut العذراء طفلها المبارك ... وذو رزق الموقف بأأن نتصور لافقة كتبت على كل مكان في ذلك الوقت (لا يوجد مكان خال للمولود ابن الله) .

وبكل سكون وهدوء قمطته وسرته ، وفي مذود للبقر أضجعته ، ثم نظرت ابنها وتأملته ، وعجبت للأمر

حتى لو كان في ظروف العذراء مريم التي أزف موعد ولادتها وأهدر قيصر لا يحتمل التأويل أو التأجيل ، فتحاملت مريم على نفسها واحتمل يوسف هذه المسئولية الخطيرة ، وبرق **برقم** سافرا هذا الطريق الطويل الشاق ليتم الاكتتاب في بيت لحم ، مدينة داود لأنهما من نسل داود .

استقبلتهما شوارع بيت لحم وأذقتها بعد مرور الساعات الأولى من الليل .

وليل الشتاء في الأرضي المقدسة قارس البرد ، فضلا عن الأمطار الثلجية التي لا تهدأ كل ليالي الشتاء الجليدية . وعلى يوسف الآن أن يفتح على **مكان يتنفس** لهما ، يستريحان فيه من عنة السفر ويأويهما من لفحات النسيم الласعة والباردة . لكن العالم كله في هذه اللحظات - بما في ذلك مدينة بيت لحم - لم يكن يتسع لهما أو للجذن القوسن الذي في بطن المبتول . ضاقت بيت لحم بالابن القدوس ، وخارجها في العراء كانت العائلة المقدسة نهبا لعوامل الطبيعة التارسة ، بعد أن أضنى المسفر الفتاة الحامل قدرًا غير قليل .

لعلك يا مريم ..

لعلك لم تأسفي أنك أم للعجب المشير .
ولم تندمي أن تتكلفى كل هذا العناء لأنك أم للله .

وكم يرثون ، وفي آمالهم وأماناتهم في أرضهم . نستطيع أن نخلص بمبدأ في منتهى الأهمية نستفيده « من ولادة ربنا » في مذود (ما يمكن للحياة أن تقوم بدونه فلتكن أبدا حرمة من سلطانه) .

لا يفوتنا ونحن أمام المغارة أن نمثل بين يدي الطفل المبارك . واز نتحرر من القيود ونستطيع المسجود بين يديه ، نجد أنفسنا أمام البراءة والنقاء والقداسة . وهي جميراً أمثلة لكنوز السماء التي لم تر الأرض لها شبهها . وجدناها جميعاً في الطفل القدوس في أبعد قياس ، لأن فيه حل كل ملء الlahوت .

الله عجيب في كل معاملاته ، وأعجب ما في الوجود أن يكون ميلاده بهذا الأسلوب . لكن العجب ينتهي أمره معنا حين نعلم أن من برنامج رب في تجسيده إلا يدع كأساً مرة ذاقها انسان في عالم الألم والتشريد إلا ويكون له منها النصيب الأوفر . وكل ما اجتمع للناس من آلام جهزها الله لنفسه في كأس مرکزة ، وحتى طفولته المباركة لم تنجو من هذا الألم . ففي ساعاته الأولى بعد مولده ارتعش من هدير البرد واحتاج إلى غطاء يتذرث به ، ومكان يستريح فيه . لكنه تجرد من الكماليات كما من أبسط الحاجات . . . لك الشكر أيها الطفل المولود ،

٠٠ أهكذا يولد ابن الله ؟ أبهذه الكيفية ، وفي هذا المقام . . . لك المجد أيها ابن المبارك .

ليس علينا على الانسان مهما كان ، أن يقبل تنازلا اختيارياً عن مكانته وممتلكاته . أو ينزل من قمة الشهرة والمجد والكرامة إلى قاع النسيان .

وما تستصعبه على الانسان ، أو ما لا يقبله الانسان إلا مكرها ، قام به رب ابن الله اختيارياً وبكل هدوء وسكون ، من غير بوق أو هتاف . هذا علماً بأنه لا يفوتنا أن نسجل كل تنازل يقوم به الانسان مهما بلغ قدرًا وكما ، فإنه يتسم بالضلال والخمار ، إذا ما قرئ بالتنازل العظيم الذي قام به رب المجد حين تجسد وولد من العذراء في مذود . ويف适用 تنازل رب العظيم بتنازل الانسان في أضخم مكانياته ، بالمسافة البعيدة التي تفصل بين الخالق والخلقية .

لم يكن كافيأً لأنها القدوس أن يلبس جسد الناس ، بل اختار لولادته ظروفاً جعلته بين جميع الناس مجهولة ومهملاً غير ملحوظ وغير معتنى به ، كأنه الأضعف والأصغر بين الجميع .

وحين نتأمل طفل المذود المحبوب نقرأ في وداعته البسيطة وتواضعه القوى ، حكم الله ورأيه في عظمة الناس

ونسجد أمامك تعبدا لأننا نقرأ في هذا المزود أسلطع الأدلة
على حبك وتنازلك ، وأقواها على لاهوتك المجيد .

الحب في المزود :

استند الصليب معظم أحاديثنا عن حب الله الذي
شتمت أدواره من التضحية العظمى ، اذ رفع الرب على
خشبة . واستيقينا قليلا من هذا الحديث ليكون نصيبيا
للمزود . والحق يبتل ان كلام الحبيبين في حياة
الرب يشهد لحبه الفائق في صورة لا تقل جاذبية عن
الأخرى .

من الصدق أن نقول ان كلام الحبيبين كلما الرب
تضحية عظيمة . وحسبنا الان أن نشير الى التنازل الكبير
الذي تنازله الرب المجيد حين نزل من قلب سمائه وعرشه ،
ومن وسط خدمة ملائكته ليكون في هذا المزود الحقير .

تضيف الى هذا الرب المها بالتجسد أوجد نفسه
في عالم كل ما فيه يضج برائحة كريهة لا تتفق مع طبيعته
النقية . على ان الرب استطاع ان يتحمل رائحة العالم
الدنسي من أجلنا . وهذا الاحتمال في ذاته لا يقل ثقلا
~~وعناء~~^{عن} الصليب الذي ارتفع الرب عليه في نهاية المطاف
ليكمل الأمة الحبيبة .

ان حياة الرب في الجسد ، هي أغنية للحب متصلة
اللغم . وكل يوم من أيام تجسده المبارك ينطق بالحب
العجب . والمزود هو أول هذه الأغمام ، وبه افتتح الرب
نشيد الخلود في الحب المقدس . من المزود انبثت أنوار من
الحب ليقطّط عالما غارقا في لحج من الحقد والكراهية
والبغضاء ، وكان نداء المزود لطيفا سمحا رقيقا ، لأن الرب
من أجلنا ولد من عذراء ، وصار في الهيئة كأنسان . معنى
ذلك أن محبة الله لم تكن مجرد عواطف ومشاعر ، بل كانت
واتقنية وعملية في شركتها ، فنزل الربلينا ونحن في
أدنى انحدار ليثن أنيننا ويبكي بكاءنا ويديم دموعنا .
هذا هو الحب الذي شمع من المزود .

بيت لحم ثم صهيون :

كل منها مدينة انتسبت لداود .

بيت لحم كانت مدینته حين رعى الأغنام وخدم .
وصهيون كانت مدینته حين ملك وحكم . بيت لحم أولا ثم
صهيون ثانيا حسب الترتيب الزمني .

واختار الرب بيت لحم لتكون مكان مولده ومدخله
إلى خدمته الساهرة المبذلة، بيت لحم مدينة الخبز، ولد فيها

ملائكة ورعاة

بشرى حملها ملاك :

غط العالم في نوم ، واعتذر الناس جميعا بأكثر من سبب لهذا الكابوس .

وفي ركن من أركان الحظيرة ، لفت الفرحة يوسف ومريم ، وفي قمة الفرحة نسى كلهم أتعابهما ووحنتهما ، بل أن الطفل القدوس الذي كان ثالثاً لهم كان نعيم الأنبياء العزى .

في هذه اللحظة التي لد فيها رب المجد مجھولاً من كل إنسان ومرفوضاً من كل مكان ، انشقت السماء وذاب الفاصل الذي حكم على الأرض بالعزلة والحرمان ، وانفلت الملائكة يحملون الخبر السار ويذفون البشرة لمن يجدونه أو لمن يسمعهم .

في يقيني أن صوت الملاك رن في كل أذن ، وموسيقى تسبيحة الملائكة صدحت في كل سماء ، لكن الناس كانوا في نوم غافل ، أو في لهو عابث أو في مجون مستهتر .. أو فيها جميرا . فظنوا البشرة بالرب التي قام بها جمهور الملائكة أصوات أحلام ، ولعلهم ظنوا موسيقى الملائكة أناشيدهم الوانا من الرعد والبروق ، وبكل تعليل كاذب

الخبز الحي النازل من السماء ، واهب الحياة لكل من يأخذ ، خبز الشبع والسرور .

ملك الرب في مدينة صهيون والصلبيب هو طريق ربنا الصاعد إلى مجده العظيم ، وبه ملك ليس له نهاية .

وبنفس الترتيب الزمني نقول إن مذود بيت لحم يأتي أولاً ثم يعقبه الصليب في الترتيب الثاني في جبل الجلجة .

علوا صوت السماء ورسالتها ، مسكن الانسان حين
يجهل فانه يميز كل شىء الا صوت البشرة بالخلاص
العظيم .

سجل الكتاب أن الرعاة رأوا الملائكة وسمعوا بشارته
لأنهم كانوا ساحرين ولعلمهم أيضا كانوا منتظرين . انهم
القلة القليلة التي استطاعت أن ترى الملائكة وتسمع
نشيدها . ومنذ ذلك الحين وصوت البشرة يرن في كل
أذن . ولا ينقطعه أو يميزه من بين أصوات التهريج
الا الأذن الساحرة المتيقظة .

لا تخافوا . . . ها أنا أبشركم :

ليسنا نظن الملك الذي يخدم البشرة بالخلاص قد مل
هذه الخدمة او تنازل عنها . فهو ما زال يهتف هتافها
ويحافظ على صداتها في كل الأجيال .

كان أمرا محتما أن يطمئن الملك الرعاة بالوعود
(لا تخافوا) . لأن الخوف من العالم غير المنظور يربض في
قلوبنا كالثعنان . على أن مثل هذا الخوف قد انتزع نهائيا
من قلوبنا بتجسد الكلمة الأزلية ، وأصبحت السماء الآن
مصدرا للفرح وليس مصدرها للحزن ، لأن المكان الذي جاءنا
منه الرب ليخلصنا من الخوف ، لا يمكن أن يكون مصدرا
للخوف أو العقاب . . انه حررنا حتى من الدينونة ، فمما
تخاف ؟

وعوض الخوف صار لنا الوعد بالفرح العظيم . فرح
في معنه عظيم ، وفي اتساعه يفي حاجة جميع الناس .
انه فرح يبلغ كل قلب ، ويغزو كل احساس في كل الظروف
، ورغمها عنها . وأساس الفرح أنه ولد لنا مخلص . ويوم
آن نجد الطفل المبارك موجود في الفرح العظيم .

على أننا لا يفوتنا أن نسجل أن كلمة الخلاص كانت
الكلمة التي لم تخل منها جملة واحدة صدرت من السماء
وأتصلت بميلاد ربنا المجيد . ذلك لأن الخلاص هو مهمة
الرب الأولى من تجسده العظيم ، وغاية ما هدف إليه
بتنازله العجيب .

كل ما قيل يوما عن خلاص اتصل بشعب الله سواء
من عبودية فرعون او من تعasse السبى في بابل ، فانه
يشير اشارة باهتة إلى الخلاص المخوض لنا في السماويات
بربنا يسوع المسيح .

وكل ما اشارت إليه الطقوس في رموز ، او انبوط
في ذبائح وعبادات ، كل هذا بنتائجها الملفحة لثورة الضمير ،
لا يزيد عن نافذة ضيقة نظر منها من بعيد على خلاص ربنا
يسوع المسيح الذي ليس له نظير .

كل ما أصاب الانسان نتيجة للتعدى ، وما آل إليه
في حياة مسرفة ، مفرقة ومنحطة ، متدهورة وعابثة

والعزة والجبروت . انه مجد القوة حيث تتواضع ، ومجد العدالة ترحم ، ومجد المحبة حين تبذل وتتضحي ، ولا يوجد مجد اعظم من هذا ، ان تكون لالهنا سيرة بين الناس ، يولد مثلهم ، ويدخل عمليا معهم في كل معمعة ، ويتجرب مثلهم في كل شيء ما عدا الخطية .

والانسان الذى تنكشف أمامه حقيقة المجد فى التجسد العجيب ، فيفعم به اقتناعا ، كما يبهر به تأملا ، له من ثمار التجسد أطيب العطايا . ورغم أنه في أرض شقية يتغرب ويكافح ، فان له سلاما وسرورا ، يفرضهما على أرضه فرضا بقدر ما أخذ منها واستشعر عطيتهم .

فللأرض سلام ينتشر عليها ويلفها كطبقة الهواء التي تحيطها ، طالما يتمتع سكانها بسلام الله **الكامل** الذى يفوق كل عقل ، ويزرعونه فيها زرعا ، ويسوقونه بخدمتهم وسهرهم ، وأنهم في ذلك يباشرون حقوقهم في المسرة . لأن خدمة رسالة السلام الذى من أجله تجسد ابن الله الكلمة يتبعها سرور ، هو أروع أنواع السرور وأصدقها ،

وإذا فاجأتنا أنباء تحمل أسوأ النهايات للسلام في العالم ، فلنعلم يقينا أن ابن الخود ليس ممدا في حياة **هؤلاء الناس** ، الذين يقوضون أهم الأسس التي من أجلها جاعنا رئيس السلام ولنعلم أيضا أنه بقيت مسؤوليات كثيرة أمام الحقول التي تحتاج أن تغزوها رسالة الرب

ماجنة ... من كل هذا ومن أمثاله ، وجدنا خلاصا عجيبة بتجسد ربنا يسوع المسيح .

وكل ما تمنته النفس واحتنته ، بأن تعود إلى الهها ، وتعوض ما فاتها ، فتستعيد مكانتها وصلتها به ... كل هذا وما هو أعظم منه أعده لنا تجسد ربنا يسوع المسيح .

لذلك كل نفس تأخذ من يد الرب خلاصا من هذا النوع وعلى هذا القدر ، لا تستطيع إلا أن تفرح فرحا عظيما .

تسبيحة الملائكة :

« المجد لله في الأعلى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » .

لم يكن ممكنا للملائكة أن تكتب شعورها أو تلقى ستارا على حركاتها فكشفت الغطاء عن تنظيمها الريتيب ، فغطت السماء بسحابة من النمور البهيج ، ثم صحت بأذب النغم ، وأحلى النشيد . والفت على مسمع من الزمان بنشيدها الذي غدا أغنية الأجيال . أنها أنشودة تسجل في مقاطعها الثلاثة النتائج المؤكدة للتجسد المبارك .

بتجسد كشف الرب هنا عن لون من الأمجاد ، كان الناس عنه في غلة . أنه مجد مجيد تنكشف أمام روعته شموس بالعظمة التي تستند فقط إلى القوة والسلطان .

هذا الدافع والانفصال ورائه ، هو تيار عميق في النفس ، يغذي الإيمان ويؤيده بالدليل القاطع . هكذا كان الحال مع الرعاة البسطاء ، فأنهم بمجرد أن غابت عنهم مناظر الملائكة قاموا ليتحققوا بأنفسهم .

ومن الناحية الأخرى ، كانت الأسرة المكونة من ثلاثة أشخاص تركت إلى الهدوء ، قانعة بتصفيتها من الحرمان ، وانطوت على السكون ، كما طوتها الغربة ولم يخطر ببال يوسف ومريم أن يهتما بأمر الناس الذين حولهم والذين لم يفكروا في غربتهما . لذلك فإننا نحسب مقدم الرعاية إلى يوسف ومريم في مغارة المهد ، وفي تلك الساعة الأخيرة من الليل ، كان لهما مفاجأة سارة انفرجت لها أساريرهما ، كما افتحت للضيوف قلباًهما . الإنسان الغريب ما أحوجه إلى السائل الذي يقطع عليه وحشة الغربية .

وبلغ بهما التعجب قمته حين تحدث الرعاية عن الملك الذي بشرهم بمولد رب المخلص ، وكيف هتف الملائكة على مسمع منهم نشيد الملائكة الخالد في أحلى النغم . وعلى ذلك نخلص بالنتيجة المباركة أن الإنسان مهما أوغل في الجهل ، وأصر عليه .. تحرجاً وعناداً ، فإن السماء لا تكتف عن البشرة وكشف النقاب عن الحق . وحسيناً في كل أمر عظيم وجليل أن يكون موكولاً إلى السماء خدمة ورعاية .

المتجسد واحد نصلى للرب أن يغفر لنا ، فلننسأله بالأكثر أن يغفر لنا خطئتنا العظمى أننا عطانا رسالة الخلاص . وليتنا نعلم أن السلام فينا وحولنا رهن بتقوانا وسيرتنا .

حول المذود :

بعد أن أنشد الملائكة نشيدهم طواهم المجد واحتفلوا عن إنتظار الرعاية البسطاء .

أما الرعاية فقد كانوا بعد ذلك ، بين الدهشة والاستغرق في التعجب . لكنهم أيضاً لم يتركوا أنفسهم لهذه الانفعالات من غير أن يخطوا خطوة إلى الأمام ، فاستجابوا لهذه الإعلانات السماوية بطريقة تتبع حدة التعجب لأن التعجب أو الاعجاب مع حلاوة التلامس معهما ، إلا أنهما كالفقاقيع المائية التي تطفوا على سطح الماء فتكسبه منظراً جميلاً ، لكنه لا تكاد تظهر حتى يصفيها الانفجار فالزوال . ولقد كانت استجابة الرعاية أبعد من حد التعجب فاستجابوا للدافع الذي جذبهم لأن يتتحققوا بحواسهم الأمر العظيم والخطير . فانتهى بهم السعي حتى اهتدوا إلى المكان حيث كان الطفل . وأجمل ما في الموضوع أن تكون لنا رفقتهم في هذه الرحلة التاريخية . ومعهم أو من خلفهم نقف أمام المذود ، نحملق مشدوهين معجبين مفعليين وخاضعين لطفل المذود .

تحت الناموس

الختان :

مضى على مولد الرب ثمانية أيام . وفي اليوم الثامن طبقت عليه وصية الختان . واشترك مع الناس في ما كلف به . وانحنى الرب خاضعاً للناموس لأنه ولد تحت الناموس ، وكمل بنفسه كل بر .

هذه الأيام الأولى للتجسد فيها نجد ربنا يسوع المسيح أعظم الأمثلة للطاعة . الطاعة لجميع القوانين ومما خضع له ربنا الختان . كان سهلاً على رب المجد أن يرفض كل طقس ، خصوصاً إذا كان طقساً لم يكن في ذاته غاية ، والطقوس التي لم تكن في ذاتها غاية ، هي التي كانت رمزاً إلى أن يحل محل الزمان . والختان كان من مجموعة هذه الرموز لأنه كان رمزاً للمعمودية في العهد الجديد . لكن الرب وضع لنا أساس القسوة في تكوين الشخصية الروحية التي تنفجر بكل ينابيع البركة ، حين يخضع القوى راضياً غير راضخ ، وغير مهزوم من نفسه أو غيره ، القوى الذي يبتسم للضعف ، بينما يحاول هذا الضعف المczم أن يثبت أقدامه وسلطانه على القوى العلائق .

- ٦٥ -

(م ٣ - الله ظهر في الجسد)

كان الرعاة أول مجموعة من الناس بشرتها السماء بمولد الطفل القديوس . وكانوا هم أيضًا أول من جاء إلى المذود رغم الليل وخوفه وظلمه وبروده . وعلى مسمع من العذراء ويوسف ، تحدثوا عن جميع ما رأوه وما سمعوه . ونستدل من سرعة مجء الرعاة إلى المذود ليتحققوا الأمر العظيم أنهم كانوا فعلاً من أفضل العينات البشرية ، فاستحقوا هذا الإعلان ، وقدموا بمجيئهم عربون إيمانهم وتصديقهم للخبر السار ، بعد أن طرحا جانبًا الترد والتباطؤ .

وقد حديث الرعاة من نفس العذراء وكأنه القدى المرطب . وانفتح قلبها مستوعباً وحريراً على تتبع كل التفصيات . وقلب العذراء القديسة مريم ، كان سجلاً حافظاً أميناً لكل الحوادث والأحاديث التي اتصلت بحياة ابنها على الأرض . والقلب الكبير في الإيمان هو خير الأمكنته اتساعاً لحفظ الإيمان ، والأدلة على صدقه . ومن هذا القلب فاض نبع مقدس يتحدث حديث الصدق والصحر عن الرب القديوس . . وتنبع هذا الأمر لروا الطبيب بتحقيق شديد عن الأمور المتيقنة عندنا . . فكان الأنجليل خيراً ساراً يقينياً . لكل من يؤمن ببابن الله . والسؤال الباقى هو (أتؤمن ببابن الله) .

- ٦٤ -

نفس الاسم الذى حده الملائكة للعذراء فى البشرة ،
والذى ذكر ليوسف فى الحلم .

لا جديد فى الاسم بالنسبة للأسماء اليهودية فى ذلك الوقت . لأنه كان منتشرًا بين الناس وفي أجيال متعاقبة . لكن الجديد أن مخلصنا الصالح هو الوحيد الذى استطاع أن يجعل للاسم مدلوله . يسوع ربنا هو الذى اكتملت فيه كل الخصائص والكلمات التى تشبع قلب الآب .

يسوع هو الاسم الذى اختاره الله لنفسه ، وبه كشف عن الجانب المحبوب فى هنا . وفي كل زمان أن شهوة الإنسان هي أن يجد في الله الاسم الذى يمس شغاف قلبه ويُشبع عواطفه وأفكاره .

يسوع هو الاسم الذى رسم لنا الصورة الجميلة الرائعة عن هنا القدس العظيم كلى القدرة والاستطاعة . وصدقنا أننا لا نجد جواباً للأسئلة التى تدور عن الله . . . من هو ؟ كيف هو ؟ ما هو اسمه ؟

الجواب الوحيد لهذه الأسئلة هو (يسوع) .

بهذا الاسم تدخل الله الاله تدخلاً مباشرًا فى تاريخ الإنسانية . فغير اتجاهها ، وقلب موازينها وأعاد هيئة تشكيلها ، وما الكنيسة إلا الإعلان الحق لهذا الاسم

مثل جميع الناس الذين كانوا تحت الناموس ، اختنق ربنا فى اليوم الثامن . . . لكنه المفرد العلم بين مواليد النساء جميعاً ، فقبل الختان جسدياً لأنه مختون بالقلب والشفتين والأذنين وفي جميع أعضائه المقدسة . قدم الله بحياته تفسيراً للختان كيف يكون وعما ينتم . انه بختان القلب الذى مدحه من الله ولبيس من الناس . بالختان سالت القطرات الأولى من الدم الذكى . . . ومنذ هذه اللحظات ودم ربنا يبذل ، مرة مختلطًا بعرقه ، وأخرى بأمه وأخرى بآنانه ، وأخرى بصبره ، وأخرى بدمعه .

سمى يسوع :

لا تكون تسمية لانسان الا بعد اجراء عملية الختان . وبالختان يكتسب حقوقه المشروعة وامتيازاته المترتبة على انتسابه إلى شعب الله .

وهذا هو ترتيب الختان الذى انتهى لتحل العمودية مكانه . ومهما يصير لنا الدخول فى عضوية الكنيسة . العمودية فى الكنيسة هي قبلة الأمومة الأولى التى تطبعها الكنيسة على جبين الطفل .

وفي الختان سمي ربنا (يسوع) .

القدوس في عمله المعجز . لينال بركة خلاصه كل من انضم
إلي وحدتها عضوا بين أعضائها ، وحرا حيا في بنائها .

افتداء البكر :

بعد أربعين يوما من ميلاد ربنا يسوع المسيح ،
اتى به والده من بيت لحم ، ثم صعد به إلى الهيكل ،
وقدماه للرب لأنه بكر . والأبكار عموما هم ملك الرب ،
مقدسون له ، ليس للوالدين ملكية عملية عليهم ، بل هم
نذيرون للرب متخصصون له . وإن صدق هذا الكلام على
كل بكر فهو أصدق ما يكون على ربنا يسوع المسيح . لأنه
منذ الأزل هو القدس ابن الله ، ولم يكن فيما ارتبط به
ارتباطا عائليا لتحول بها ما ارتبط به نحو السماء . حتى
حين طالبه القدس العذراء بما أحسه ماسا بتكريسه
للب الشماوى قال « لم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما
لأبي » .

ولتقديم الأبكار في الهيكل قصة تعود بنا إلى ليلة
خروج شعب الله من مصر ، في منتصف الليل جاء الملك
المهلك وضرب بالموت أبكار المصريين ، ولو لا خروف الفصح
الذي لطخ دمه العتبة العليا والقائمين ، في أيواب ومنازل
المؤمنين لكان لأبكارهم نفس المصير . بخروف الفصح
افتدى الرب أبكارهم ، ليكونوا له في ملكية كاملة ، على

أنه استعيض عن الأبكار المكرسين للرب ببسط لاوي
(عدد ٣ : ٤٤) ٠٠ وافتدى الأبكار بذبائح (عدد ١٨ :
١٥ ر ١٦) ٠

على أننا نتأمل بكل خصوع أن طقس افتداء البكر
يشير إلى المعنى البعيد الواضح وضوح الشمس في الأفق
البعيد ، يسوع ربنا افتدى ليكون ملكا لكل انسان
ويستطيع أن يضع يده على كتف الرب وينال فيه نصيبه
من الملكية . انه المطهون الذي نقرأ من خلاله كيف أن يسوع
ربنا ترك العرش المجيد ، ليكون لنا ، ملكا للأجراء
والبعيد والعذراء نيابة عنا ٠٠٠ ، قدمت فدية بسيطة جدا
لنشرتري بها شخص ربنا يسوع المسيح فادينا . فما
أحرق ما قدمناه ، وما أعظم وأضخم ما ملكت أيدينا .

ان الفرح الذي احسته العذراء القديسة وهي تفتدى
بكرها يسوع ليكون لها في بيتها ، هو التعبير الدقيق عن
الفرح العظيم الذي يتقاسمه جميع المؤمنين حين يعودون
من مكان يقيئهم بالملكية بين أيديهم يحملون أعظم عطيه
وأقدس هدية من السماء . هذا المعنى أجمله الرب في قوله
« من أجلمهم أقدس أنا ذاتي » .

وفي نفس الوقت قدمت العذراء عن تطهيرها ذبيحة
كان قوامها زوج حمام أو يمام . وهي تقدمه تدل على رقة
الحال الذي عاشته العذراء وخطيبها يوسف .

سمعان الشیخ :

سمعان الشیخ هو أحد الأمثلة الممتازة للنفس البشرية ، ويدعى حفاظاً أن يكون في ذلك الجيل الملتوي من هو على مستوى سمعان في البر والتقوى . ويمكن لنا أن نلقيه بالزهرة التي يسمع بها ساق طويل . على أساس أن الأزهار تحملها سيقان النبات ولا تختلط بالوحل الذي يحيطها في تربتها ولا تتأثر به ، بل على النقيض أنها تستفيد منه أقصى الاستفادة في اكتساب غذائها .

لا ينقص من قدر سمعان الشیخ أن الكتاب المقدس لم يشير إليه إشارة مطولة . فأن أعظم الرجال دلت عليهم كلمات قليلة . وحسبنا أن نلم بالخطوط العريضة لحياة سمعان حين نقرأ عنه في الكتاب المقدس أنه كان بارقاً تقرياً ، ويزداد اعجابنا به واقتضاينا بمثاله حين نعلم أنه حافظ على بره وتقواه على مدى سنتين طويلة . والتمسك بالرب الإله . . . وما إليها من فضائل تتحمل بها شجرة التقوى وتتجمل .

سمعان الشیخ هو أحد الذين اشتراكوا في ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية . وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية . وأنثاء الترجمة أشرته الآية القائلة « هؤذا العذراء تحبل » التي جاءت في ذبابة اشعية وفك في طريقة

يحتال بها على النص من غير اساءة إلى المعنى فظن ان الكلمة (صبية) مرادفه (للعذراء) الا أنه أوحى إليه أن يحافظ على النص (العذراء) في الترجمة ، مع الوعد أنه لا يرى الموت قبل أن يعاين المسيح الرب ابن العذراء . فيطاله من وعد صار مصدراً للرجاء والفرح في قلب سمعان . لأن جده إبراهيم رأى هذا اليوم وفرح . . . فكيف به اذن يعاين ابن العذراء .

ظل كل هذه السنين يتربّق انبثاق النور . وطال انتظاره إلى عشرات عشرات السنين . ورغم طول الانتظار تمكّن منه الرجاء رسوحاً .

التقى سمعان الشیخ بالرب أثناء طقس افتداء البكر في الهيكل على أننا يجب علينا من ناحيتنا أن نؤكد الحقيقة أن مجىء سمعان إلى الهيكل في تلك اللحظات ، لم يكن من قبيل الصدفة ، لأنه كما أعطى الملاك العلامة للرعاية حتى يتحققوا الطفل الموعود به ، كذلك يتوقع من الوحي أنه عين لسمعان المكان والمظروف التي يلتقي فيها بالخلاص الموعود . ويقول تقليد ان سمعان استطاع أن يميز الطفل يسوع من بين جميع الأطفال الأبكار الذين افتقدوا في الهيكل كل هذه السنين للانتظار اذ رأى نوراً ينبعث من وجهه في أشعة صافية تبهر الناظر إليها .

كان أمام سمعان هدف . من أجله عاش وله تكرس .
وهو أن يرى الطفل المبارك مصدر الخلاص وباعث الأمل
المنشود . ومن أجل هذا الهدف ومن أجل تحقيقه تردد
سمعان على الهيكل وأكثر من التردد في مدى عشرات
عشرات السنين . ولسنا نجد طريقة بديلة لهذا العمل أو
أكثر فاعلية ، فان التردد على بيت الله عمل يغذى القوى
في القديسين ، كما أنه يتتيح لهم فرص اللقاء بالرب
القدوس *

من الانتصار للحقيقة أن نقول ، إننا نجد صعوبة كبيرة حين نحاول أن نصف هذا اللقاء التاريخي بين سمعان الشيخ وبين الطفل الرب يسوع المسيح ، فلقد أحال الانتظار على سمعان حتى سنى شيخوخته المتأخرة وأمست حياته نوعا من السجن الذى قبله ورضى به على أمل أن يرى الخلاص الموعود به . ولو لا هذا الأمل لتمنى الافتات من قيود هذا السجن أو اعتقال الجسد له . وهذا الأمل هو الذى هون من ضيق السجن على أنه ، بمجرد أن رأت عيناه خلاص الرب ، وحمل الطفل يسوع على ذراعيه ، أدرك للحال أن أمانية كلها قد تحققت ، ثم تفross بنفسه فى الطفل أمل العالم فى خلاص عجيب ، ثم نظر الى العذراء فأشفق عليها مما ينتظراها ، فأعلن لها لتسعد للكائنة لأنه

فِي نَفْسِهَا يَجُوزُ سَيْفٌ وَلَا يَرْحُمُ وَلَوْ كَانَتْ فِي قَلْبِ الْقَوْمِ
شَفْقَةً عَلَى أَبْنَى اللَّهِ لَا شَفْقَةُ عَلَى أَمْهِ .

اَمَا بَعْدُ ۝
وَقَدْ رَأَى مَا اشْتَهَى الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَبْرَارُ أَنْ يَرَوْا ، وَبَلَغَ
مِنْ أَجْلِ بَرَهِ وَتَقْوَاهُ قَمَةَ الْمَجَازَةِ ۝
وَفِي ظَلِّ الْمَخْلُصِ تَغْيِيرُ الْقَبْرِ فِي مَدْلُولِهِ وَمَفْنَاهِ ،
اَذْ لَمْ يَعْدْ بَابًا لِلْجَهَنَّمِ ، بَلْ بِالْمَخْلُصِ اَصْبَحَ اَحَدُ مَعَارِجِ
الْمَخْلُصِ ۝

لحدس
والجسد الذى يلبسه لم يعد خادماً لأمر أو وافياً
غرض . فقد تحول إلى ثوب بال . غداً التنازل عن أمراً
محتماً ومؤكداً . . . فلماذا يتمسّك به أو كيف يتمسك
به ؟

فماذا إذن يربطه الى هذا العناء والفناء فبحذا القبر .
 فهو السبيل أقرب المسبيل أن تكون مع الرب فى كل حين
 .. ولذلك هتف سمعان « الآن تطلق عبديك يا سيد حسب
 قوله بسلام » .

حنة النبية وأخرون :

اشتهر سمعان الشيخ بالتفوي .
والتفوى كلمة تعنى التخصص . أن يتخصص
الإنسان بكلياته فى عبادة رب الاله .

وهذا التخصص كان الصفة البارزة لسيدة المتق بالرب في الهيكل اثناء طقس افتء البكر في الهيكل . في نفس الوقت الذي التقى فيه سمعان الشيف بالرب . هذه السيدة هي حنة النبيه بنت فنوئيل . فانها كانت ارملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصنام وطلبات ليلاً ونهاراً . فهي أيضاً وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرین فداء الرب وخلاصه .

القوى سر يطويه الاتقياء . وسر يتلامس مع الأسرار وعظيم هو سر القوى . الله ظهر في الجسد . لذلك استطاعت حنة بنت فنوئيل أن تتحدث مع الرب مع جميع الذين انتظروا فداء في أورشليم .

اما وقد انتهيا (مريم العذراء ويوسف البار) من كل ما يحتمه عليهما الناموس من طقوس ، فانهما عاداً ادراجهما إلى بيت لحم . ولا بد لهما ، وهما ينزلان إلى السهل أن يصعدان مرتفعاً أنهما كانوا يتذكران ما حدث وبينما كان الطفل القدوس العجيب .. ففي هذا البارك انعقد الأمل العظيم ، وتجسد الخلاص العظيم . وكل يوم في حياته المباركة يكشف عن أمر خطير .

أين المولود الملك

أين هو ؟

ليس صححاً ما يردده بعض الناس من أن انتظار مجىء المسيح ربنا في الجسد كان قاصراً على جماعة اليهود . لكن الصحيح أن جميع قبائل الأرض كانت في حالة توقع وترقب وانتظار لهذا الحادث الفريد . ونقول أيضاً ، أن هذه القبائل لم يكونوا في وضوح الرؤيا كما كان الأمر بالنسبة للمؤمنين المستقيمين من اليهود في وقت التجسد . لكنهم على كل حال كانت لديهم بعض الإيحاءات أو الالاحات التي لا تخلو من بعض الصدق . ولو أن الناس لم يحاولوا أن يضيفوا إلى هذه الالاحات أو الإيحاءات شيئاً من عندياتهم لكان الأمر أوضح وأكثر استقامة بالنسبة للجميع . فيما يختص بمجيء المسيح المخلص .

هذه الإضافات . التي جاد بها الخيال والفكير ، خلعت على الالاحات الصادقة البريئة ، صفة الأساطير . وانحرفت بالحقائق عن جادة الصواب ، وذهب الناس في عبادتهم ما شاء لهم الخيال ، وصنعوا لهم من الآلهة ما استحسنوا واستنسابوه ..

قادنا إلى هذه السطور موضوع ظهور التجم العريب لجماعة من العلماء والحكماء والعظماء من شرق الأرض سماهم

كان يظهر فيه . فهو لم يضيء في الليل فقط ، بل كان يضيء أيضا في رابعة النهار . اذ كانت الشمس مشرقة . الشيء الذي لم يكن في وسع أي نجم أو حتى القمر نفسه . ويتحقق أيضا من ظوره ، واختفائه على التناقض ، لأنَّ كان يظهر لهم في الطريق قائداً إياهم حتى فلسطين ، وما بلغوا أورشليم غاب عنهم حيناً ، ثم حينما كانوا على وشك مغادرة المدينة بعد أن تركوا هيرودس أظهر لهم نفسه من جديد ، مما يدل على قوة عاقلة لا على حركة نجم . . . كعمود الغمام)

حين أقبل هؤلاء الحكام إلى أرض فلسطين ، كان قد مضى على ميلاد الرب ما يزيد عن سنة أو ما يقرب من سنتين وهي المدة التي تتوسط بين ظهور النجم العجيب للمجوس الشرقيين ، وبين وصول هذه الجماعة من العلماء أرض فلسطين .

نعيد قوله سبق أن سجلناه ، أن هذا النجم جذب إليه أنظار المجوس وألقى فيهم شعاعاً من المعرفة ، وأعطى الجواب لعديد من الأسئلة .
لاشك أن الحكمة هي عطية الله للإنسان . وهي ما تميز به المجوس الذين زاروا الرب من الشرق لكنها بذاتها لا تشبع حاجة الإنسان . « تفتح الحكمة أمامها

الكتاب المقدس بالمجوس . هؤلاء الذين تكبدوا مشقة السفر الطويل من بلادهم مع بدائية وسائل السفر في ذلك الحين ، وجاوا أرض فلسطين يفتثرون عن الملك لأنهم كما قالوا « رأينا نجمة » . . .

كل قبائل الأرض كانوا مثل المجوس ، عندهم ما يدل على مجده المخلص ولهم ظهر الدليل أو العلامة التي يفهمونها ، بأن المخلص فعلاً قد تجسد . لكن ليس جميع الناس كانوا خالصين لهذا الترقب ، أو خاضعين وسامعين ومنقادين لعلامة ظهور الرب .

نعود إلى العلامة التي ظهرت للمجوس وهي النجم . من الخطأ أن نحاول تفسير هذه العلامة التي ظهرت لجماعة حكماء الشرق بأنها أحد أنواع المذنبات أو النجوم . إنها في الواقع كانت اعلاناً خارقاً من السماء جذب إليه أنظار هذه الجماعة بالذات وألقى فيهم شعاعاً من المعرفة وكشف الغطاء عن عديد من الأسئلة .

وفي هذا المقام ذورد رأياً للقديس يوحنا ذهبنا الفم لعله أروع ما قيل في موضوع النجم .

(ان هذا الكوكب لم يكن من جملة الكواكب أو بالمعنى لم يكن كوكباً كما يلوح لي . إنما هو قوة غير منظورة اتخذت شكلاً منظوراً . يتضح ذلك من الوقت الذي

للرب المولود في المزود بالروح والحق ، وللأمم نصيب في هذا الخلاص ، لا يقل خطورة وكرامة عن نصيب اليهود . لأنه كما أن الملاك يشر الرعاية من اليهود ، فان النجم بشر الموسى من الأمم .

غاب عنهم النجم :

كانت الرحلة لطولها شاقة ومرهقة ، استغرقت سنة من الزمان أو مايزيد . وهانت أمامهم كل تضحيه حتى يصلوا إلى غايتهم العظمى (أن يجدوا الملك العظيم ويجدوا له) ومما هون عليهم عناء السفر أن النجم كان هاديا لهم كل الطريق حتى دخلوا أورشليم .

وفي هذه اللحظات التي خطت أقدامهم إلى داخل بيت المقدس ، استعجلتهم خواطيرهم ، وانفعلوا انفاسا كان مزيجا من الفرح واحساس قرب الوصول إلى الهدف . ووسط هذا الخضم من الد والجزر نسوا حاجتهم إلى النجم الهدى . واستبدلوا بهداية الناس وارشادهم . وفي بيت المقدس جالوا هنا وهناك . ثم تاهوا . سألوا عن المولود العظيم الملك ، أين هو ، فقادهم الناس إلى قصر هيرودس الملك ، ولم يزد هم لقاءهم بهيرودس الملك الا ذيئها وحيرة . تركوا هيرودس ليستأنفوا التفتیش عن غایتهم العزيزة .

ابواب الأسئلة وتدفع النفس إلى التفتیش والتنقيب عن الإجابات الشافية . وجميع المحاولات لاكتشاف الإجابة الصحيحة باعت بالفشل . الا أن الجواب الوحيد وجده في ابن الله الذى تجسد من أجلنا . فى طفل المزود ، فى صبي بيت لحم وجدها جوابا لكل ما عجزت عنه الحكمة البشرية .

على هذا نقول ان ما سماه الموسى نجما ، كان فى الواقع اعلانا اختص به الله العظيم الأمين . وأجاب به على أسئلتهم وحيرتهم . فهو الاعلان الذى قرأوا فيه ما يفيد البشرة ، واستطاعوا أن يعلموا منه مقام المولود بآنه ملك ، ومكان المولود . اذا قادهم إلى أورشليم . وهكذا يتتأكد لنا الرأى أن النجم لم يكن علامه صامته . بل كان اعلانا تكلم اليهم بلغة يفهمونها عن حقائق ثابتة تخص المولود العجيب رجاء الشعوب كلها ، لدرجة أنهم أدركوا أنهم من الناس العنيين بولادة هذا الملك ، وأيمانا منهم بهذا جاؤوا لكي يسجدوا له .

هنا نتأمل قول الملك ليوسف حين ظهر له في حلم « إنها تلد ابنا » . ونلاحظ أن الملك لم يقل ليوسف أنها تلد لك ابنا ، ذلك لأن العذراء تلد ابنا لا يختص به انسان دون انسان ، او أمة دون امة ، انه يسوع الذى يخلص شعبه من خطايهم ، وينتسب إلى شعب يسوع كل من سجد

لا ننسى أنه بالأمس اتفقت كلمة الرؤساء أمام هيرودس الملك أن الملك يولد في بيت لحم ولم يفتش عن الرب واحد من العلماء ، رغم العلم الغزير تربض فيها الخطية ولم يبررنا منها غزير العلم . بل قيدنا اليها عدم الاستطاعة وعدم الرغبة في الخلاص . إن العلاج الوحيد هو أن ذاتي ونسجد له في المخود . وقد نعلم أين هو ، لكننا لا ذاتي حيث هو . إن العلم الواسع من غير سجود لطفل المخود هو ضلال طويل الأمد في صحراء قاحلة .

لو أتنا كنا في مكان الجماعة هذه ، ورأوتنا هذه الأنكار عن اليهود ، فلابد لنا أن نعود إلى أنفسنا نستدرك ، انه ما لنا وما لهؤلاء القوم الغافلين . ما لنا نعكر على أنفسنا صفاء النفس ، فها أن النجم قد عاد علينا ، يعيد علينا هدایتنا . فالنفرج بهذا فرحا ينبعسط ويشمل كل ما يتصل بنا . . .

ان ظهر النجم ثانية كان وسيلة نجاتهم من الضيق الذي أحسوه في بيت هيرودس . هناك حيث خنقهم رباء الناس وعدم اكتراشهم بملتهم الحقيقي . ثم قادهم النجم قيادة أمينة ، وبكل ما يملكون من جهد وقوة تبعوه . ولم يستقر لهم حال كما لم يهدأ لهم بال ، الا بعد أن استقر النجم الصغير مشيرا إلى شمس البر .

لم يحسوا هذا التيهان وهم يشقون طريقهم الطويل على مدى الشهور الطويلة وهم يشقونه وسط المجهول ولعلهم في هذه الأثناء من المراجعة تذكروا النجم الذي قادهم كل هذه المسافة ، فأحسوا الحاجة إليه ملحمة بحيث لا يمكن أن يكون لهداية النجم بديل . وللحال ارتفعت عيونهم إلى فوق تشخيص إلى السماء ، تعذر أسفًا وتلتمس عونا . فعادت إليهم فرحتهم بمجرد أن تركوا قصر هيرودس . لأنهم رأوا النجم ثانية . وهذا النجم هو وحده الذي قادهم إلى بيت لحم .

لعل هذه الجماعة عجبت من أمر اليهود في ذلك الزمان .

في وسطهم وفي ديارهم ولد ملكهم ، ملك الملوك العظيم ، لكنهم كانوا عنه متشاغلين ، أو كان عندهم أمرا لا يستحق الاهتمام . لم يكونوا يعلمون شيئاً عن هذا الأمر الخطير ، وحتى الذين علموا عنه ، كما أثارتهم النبوءات ، لم يكونوا متبعين للحوادث تتبعاً جدياً . والوحيد الذي اهتم بخیرهم هو هيرودس . فهو الذي أوصاهم بأن يفتشوا عنه بتدقيق أين هو . كما أوصاهم أن يعودوا إليه بعد أن يجدوه لكي يذهب إليه ويسجد له هو أيضاً .

لا نشك لحظة ، أنهم في تلك اللحظة بلغ بهم الفرح
مبليغا دونه كل وصف . ونستطيع أن ندرك مداه اذا تأملنا
وتفذكينا مبلغ ما بذلوه وضحوا به لكي يجدوا الرب الملك ،
انه درس بلين يلقيه علينا المjosوس عبر الأجيال ، فانهم
احسوا لحظة ان وجدوا الرب الاله ، أنهم نالوا تعويضا
يغوص كل ما بذلوه في السفر الطويل .

التقو بالرب فاضطررت فيهم شتى من المشاعر
والعواطف . فسجدوا للطفل المبارك سجودا دفعهم اليه
مزيج من الفرح والتهيب . وفي سجودهم كان كل مانفهم
يهتف « قد وجدنا يسوع » .

لكن . . هل ننسى الآخر الذى تركه فيهم الاختلاف
البين بين ما توقعوه للرب من حال وما لقوه فيه . ولسنا
مجانين للصواب لو قلنا ان الواقع صدتهم . أو تخلينا أنهم
تأسفوا لرقة الحالة التى كانت واضحة فنى كوخ يسوع
المتواضع . ومن الناحية الأخرى فعل هذا الأمر الذى
صدتهم ، هو نفسه الذى نهض أمامهم دليلا على أن هذا
الصبي هو الرب الملك الموعود به . لأن التجدد الذى
اختاره الرب لنفسه منذ المهد غدا أسطع الأكملة على أنه
الإنسان الفريد العجيب . ولابد أنهم ادرکوا وهم يسجدون
للرب أنه الاله القدير المستحق لكل عبادة وسجدة . ولسنا

هذا هو الملك العظيم

لابد للمجوس أن تصوروا صورة الرب الملك . صورة السيد شخصيا وللأطار الذى يحيط به ولم يفت الخيال أن يضيف إلى هذه الصورة الأسباب التى تضفى على المقدمة الكراهة والمهابة والسلطان . على أن خيال الناس لا ينسج شيئا الا من خيوط الواقع فعلا فاستعاروا من تصور الملوك وخيلائهم . من عظمتهم والتلقاف الناس حولهم بالطاعة ، ومنها نسجوا صور الخيال ، وأضافوا إلى هذه أضافات إلى هذه أضافات تلقي بالملك السماوى العظيم . لتحمله عظيمها على العظام ، وملكا على الملوك .

هذا التصور الذى تخيلوه كان أمراً أبطأ نسبياً . لم يفصح واحد منهم عن تفصيله لكن كل فرد منهم كان له تصوره الخاص . ومن يدرك فعلتهم فى سرورهم أثناء السفر ، تحدث كل فرد منهم عن تصوره الخاص بالملك السماوى ، وعن الحال الذى ينتظر أن يلقاه فيه . كل هذه ظنون .

استقر النجم المهدى وأشار الى شمس البر . الى
الصبي فى حضن امه ، فنى بيت بسيط فى بيت لحم .
ومناك فى ذلك الكوخ عاشه الرب فى كفالة يوسف المبار .

قدم الجوس الحكماء للرب عطياه ، وهي بترتيبها يلذ لنا أن نتأملها في مدلولها ومفاهيمها . وهذه العطايا كما جاء ذكرها في الانجيل المبارك كانت ذهبنا ولبانا مرا . من التطبيقات نجدها ترمز إلى الرب الملك والكافن والنبي .

ويمكننا أن نرى من خلالها ، أن حياة الرب في الجسد تتصل في حلقات ثلاث . حياته الأولى المهادنة الوادعة من الميلاد حتى العمودية ، وهي الحلقة التي تشير إليها عطيه الذهب . ثم الفترة اللاحقة لذلك وهي حياة الخدمة الساعية البادلة ، كما نستدل عليها من عطيه للبمان ، وأخيراً فترة المطاردة من الناس ، حتى رفعه على الصليب ، كما نستنتجها من عطيه المر .

ومن التطبيقات أيضاً ، أنها ترمز إلى خطوات كل مؤمن في سياحته على أرض الغربة . الأولى فرح اللقاء بالرب كما تستفيد من عطيه الذهب ، والثانية حياة عابدة في شركة مقدسة ، كما تدل عليها عطيه للبمان ، والثالثة حياة الاستعداد لكل بذل واحتمال ، وقبول الألم من أجل الرب ، كما يدل على ذلك المر .

نجد سبباً يجعلنا ننزل بهم عن هذا المستوى من الادراك لأن الرب الله الذي أعلن لهم رؤياه في نجم يتحرك ، ويسيير « علمهم وارشدتهم ودفعهم في كل سلوك » وأن الذين كانوا أمباء للرب في اعلانه الخافت قادهم الرب إلى أمجد اعلان في السماءيات .. سجدوا للرب سجوداً يعز على كثيرين من المؤمنين .

فتحوا كنوزهم :
لقاء سجود فطاوة .
انها خطوات طبيعية وجدناها تتكرر بنفس القرنيب مع كل انسان يلتقي بالرب ويرى القدس البار .
لسنا نقول ان هداياهم للرب كانت امراً مقرراً منذ أن رأوا النجم ، لكننا نقول انهم بعد السجود اقتنعوا أنهم لا يملكون من كنوزهم شيئاً لأن الرب الذي سجدوا له حررهم من ذواتهم ومن كل ما يستعبدهم . وأن نفوسهم بن تعز عليهم حين قدموا وبذلوا للرب في سجود حقيقي . وأيضاً فان كنوزهم بالتالي لن تعز عليهم ، فكشفوا الغطاء عنها وبذلوها في سخاء ما بعده سخاء . ومن يفتح قلبه يهون عليه أن يفتح كنزه .

يكونوا في قلق يعكر بساطتهم وایمانهم . لأنه حسبهم عونا وسياجا أن الرب منوط بكشف الستار عن تدبیر الأشرار مهما كان ، ومهما أوغلوا في المكر والخداع لذلك مع جهل المجوس بما أبطن هيرودس من شر للصبي ، فان الرب أوحى إليهم في حلم الا يذهبوا إليه في طريق العودة ، بل عليهم أن يتذنبوا الطريق الذي يقترب من قصوره ويذهبوا إلى بلادهم من طريق آخر ، وقد كان .

عاد المجوس إلى بلادهم وكانوا خميرة طيبة للبشرة بملكت الله التي حمل مسؤوليتها توما الرسول فيما بعد . والآن لندع هؤلاء الحكماء في بلادهم يشهدون بما عاينوا ويشهدون للرب المخلص ، نعود إلى اليهودية نتتبع الحوادث في أورشليم .

راحيل تبكي :

طال انتظار هيرودس وأغاظه كون الجماعة الغريبة ضللت به ، لم ولم تبلغه أين ولد المسيح لأن المكين لم يعلم ان وراء الحوادث يوجد الله العزيز الحكيم . ساءه أن الأغراب لم يعودوا إليه بالخبر المنشود وأقلقه وازعجه الاحتمال أن ينجو الطفل من ضرب سيفه ، فأسرع ينفذ قضاءه في الطفل وكان قضاء الله أسرع . لأن يوسف أوحى إليه فهرب بالطفل وأمه التي مصر .

ومهما استطال بنا باب التأمل ، فمازال في المجال سعة لم يطرأها تفكير وما زلنا نطبع أن نقرأ أو نستخلص جديدا من التأملات من خلال هذه المهدايا المباركة . على أنه فضلاً عما سبق . فإنه يعنينا أن نقول إننا إذ نلتقي بفضل المخوذ ، لا يعز علينا شيء مهما كان ، بل نلقيه عند قدميه المباركتين .. حتى لو ظن الناس أن عطيتنا للرب يسوع من الاتلاف . ليكن للناس أحكامهم إنما يعنينا من الأمر رضى الرب فقط وقبوله لنا .

رجعوا :

إلى هنا تنتهي مهمة هؤلاء العظام . وقد أدوا على خير وجه . إلا أنهم ظنوا من الأمانة أن يعودوا إلى هيرودس يعطونه الجواب عن الطفل يسوع المسيح الملك . لأنه يريد أن يسجد له كما أفادهم بذلك .

ظنوا هيرودس مخلصاً أخلاصهم ، لأن قال لهم «لآتي واسجد له أيضاً» وهم لا يعلمون أن الرجل طبع على فمه ابتسامة ، وطوى في قلبه مكرًا وخداعًا . أعطى بلسانه حلاوة الكلام ونصب في فكره انجس كمين . واضح من هذا أن أولاد الله يسكنون عالماً يحوطهم بنفس النوع من المكر والغدر على أن هذا الحال لا يلزمهم أن

بكت راحيل على أولادها ، وانها لا تستطيع الا البكاء
اذ ترى احفادها أصبحوا طعاماً لسيف المقد والدهاء .

لم يكن هذا البكاء بكاءً رمزيًا نبويًا فقط بل كان تعبيراً حقيقياً عن احساس سكان الدار الأخرى من المتنقلين ، فانهم في ضيافتنا يتضايقون ومعنا في أحزاناً ينفعون ويشتركون .

لم يكن أمراً ذا بال عند هيرودوس أن عدد الضحايا بلغ
عدها ضخماً لكنه كان مهماً عنده في الدرجة الأولى أن
التقارير قالت إن جميع الأطفال لقوا حتفهم ولم ينج منهم
طفل، ولعله احتفل بهذه المذبحة بحفلة ساحرة ماجنة، لم
ينقصها شيء من أسباب الطرف والشراب. إلى آخر ما تشتتني
نفسي ليس لها رادع.

لُبْقَ بَعْضِ الْوَقْتِ أَمَامَ أَرْوَاحِ الْأَطْفَالِ وَالْأَبْرِيَاءِ
الشَّهِيدَاءُ .

لستنا ننفعي من وقفتنا أن ندمع فني رثاء ، بل أن ننحني
فـى صلاة ودعا لهؤلاء الأطفال فضلـ كبير يقف منافسا لفضل
أكبر الرجال الذين دافعوا عن أعدل الفضائل . والناس فى
المشرية والانسانية سواء .. وكلـ سن دوره فى الكفاح
والبذل عن قضيـا العـدل والكرامة .. وظـلـ بـيت لـحم الشـهـيد

خلت بيت لحم من العائلة المقدسة وأقبلت عساكر هيرودس إليها ، وفي وحشية ضاربة ، امسكوا بأطفال القرية الصغيرة (بيت لحم) وفجعوا الوالدين في أبنائهم .. كل طفل دون السنين كان طعاماً لسيف هيرودس .

مذبحة بشعة حقيرة . لا نجد لها نظائر الا ما نجده من امثلة الفتك البشعة بالأطفال الابرياء ، حين تتباطش اسلحة الحروب والدمار بالامنيين المدنيين والأبرياء من الأطفال ، وكمصريين نجده امرا ملحاً أن تستبط وجہ الشبه القريب بين ضحايا بيت لحم من الأطفال على يد هيرودوس وبين ضحايا مدرسة بحر البقر الابتدائية بعد غارة جوية لسلاح الجو الاسرائيلي في النصف الأول من أبريل ١٩٧٠

مذيبة ليس لها ما يبررها ، الا أن الانسان حين تجتمع لديه السلطة ويكون حرا في استعمالها ، فانه يتحقق بقدميه أقدس البداء ، ويطلق العنوان لنار شهواته وتهدم صروح الفضيلة والقيم الانسانية انه الانسان الغر ، ينجذب الى التفوه ويعيره طريقها القصير فيعود بنفسه الى انسان الغابة او الى حيوان المغريزة ، حيث لا عقل ولا تشريع ، ولا قانون ، ولا شعور ، ولا تعاطف .. اللهم الا شر المدافع وناموس القوة ..

ضاقت به أرض وطنه . وأنه لفضل حفظه الرب وكافأ أهل مصر عليه . ومن أجله وعدنا أن يكون شعب مصر شعبه الذي اختصه بالبركة .

ترجم الرب هذه البركة في امتياز خاص لمصر وقارر عليها .

فهذه الرمال الجبار والصحارى القاحلة ، تحولت إلى ينابيع للبركة ومرانكز اشعاع للايمان والمعرفة وإلى هذه الصحارى أقبل الحجاج من كل العالم يجلسون عند اقدام شيخوخ البرية من النساء والرهبان ينهلون من خبراتهم ومعارفهم الكتابية ، الأمر الذي أدهش العلماء والبساطة على المساواة ، ومن مصر خرجت فكرة الرهبنة وغزت كل أرجاء العالم .

ثم ٠٠٠ في كل مرة يجد الجد ويحتاج إلى رجل من رجاله يدفع عنه شكوك المشككين أو تزييف المزيفين ، كانت نعمة الله تدفع الرجال الأبطال في مصر ليحملوا المسئولية المضنية ، أمثال انثاسيوس .

ثم رغم الحروب الشريرة التي دبرها الشيطان عدو الكنيسة ليمحو من الوجود الكنيسة الشاهدة للرب في مصر ورغم هذه الحروب التي لم تهدأ على مدى أجيال متعاقبة

اعتبره منافسا لسمعان القديرواني فكلاهما خدم الصليب والمصلوب ، وكل منهما يلقى خير الجزاء .

وربما متسائل عن الذنب الذي اقترفه هؤلاء الابرياء ، ولماذا يذبحون بهذا اليسير ضحية لظلم الظالمين ، ولهمذا المتسائل نقول له بل تأمل مجده في المدينة النازلة من السماء انه من العينات البشرية التي هيأ لها الرب مجدا عظيما رغم قصر الأجل وفي صفوف الشهداء العظام انتظم الأطفال الشهداء .

مبارك شعبي مصر : « قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى مصر » بهذا النص صدر الأمر من السماء ليوسف البار في حلم ، والمرجح أن يكون هذا الحلم قد حدث في نفس الوقت الذي أوحى فيه إلى المجنوس لا يعودوا إلى هيرودس . ونستنتج من سياق القصة أن يوسف لم يتمهل إلى الصباح فاستيقظ وقت ما زال ليلا . وتغربت العائلة المقدسة في مصر وزارت أمكنة كثيرة متفرقة في مصر ، حتى منتصف مصر العليا ، وفي كل مكان زارته تركت فيه أثرا مباركا .

من أسباب فخرنا نحن أهل مصر ، أن وطأت قدماً الرب أديم مصرنا ، وكانت أرضنا ملأاً أميناً لربنا حين

ونحتاج - نحن عشر المؤمنين تذكرة - بأن نشيد
بخدمة يوسف وتضحيته - من أجل الأبن الكلمة المتجسد
فأنه منذ أن أعلن له الملائكة الحبل بالرب في بطن العذراء ،
لم يزل للطفل ملازمًا وخادما بكل امكانياته وكرس له البقية
الباقيه من حياته . لم يضن على الرب بشيء ، كما لم
يستكتر من أجله تضحية .

هذا التقدير الذي يستحقه يوسف من جماعة المؤمنين
لم يفت السماء تثبيتاً وتسجيلاً ، فكان من العائلة المقدسة
في مكان الرأس والمسئولة عنها رسميًا و زمنياً . فله ظهر
الملائكة يهرب قوله ظهر الملك أيضًا ليعود . وكان من
العذراء صاحب المشورة وهي منه في مكان الطاعة .

عاد أرض الموعده ، ووُجد أرخيلاس الأبن يحكم عوض
أبيه . فخشي على الصبي يسوع من الدسيسة والعيون
المتجسدة ، فلم تتركه عين المها الساحرة ، فارسلت إليه
ملائكة للمرة الرابعة ، لكي يسكن الناصرة .

استقرت الأسرة في هذه البقعة من العالم ورتبت
حياتها فيها ، واستغل يوسف مهنته كنجار وتكسب رزق
يومه . أما يوسف فمن أجل هذا السكن التصدق به لقب
الهوان . بأن كان ناصرياً .

فما زالت الكنيسة في مصر تشهد للرب شهادة تتسم بالصلابة
والصمود . كل هذا نرجعه إلى فضل زيارة الرب مصر هارباً
من وجه هيرودس . وما زلنا نطعم فيما هو أعظم .

مات هيرودس :

كان هروب يوسف بالعائلة المقدسة إلى مصر بناء على
أمر صريح صدر إليه . وليس مستطاعاً عنده أن يعود إلى
أرض الوطن إلا بعد أن صدر إليه أمر له نفس الصيغة في
الصراحة .

مات هيرودس ودفن . لكن مبادئه واهوائه وحربه مع
رئيس السلام لم تتم ولم تدفن . وسيعامل أدعية القوة
وأصحاب السلطان الرب وكنيسته من بعده بنفس أسلوب
هيرودس . وستنقى عبارة الرب لبيلاطس صادقة في تطبيقها
إلى نهاية الأيام (مملكتي ليست من هذا العالم) .

بعد موته ظهر ملوك الرب للمرة الثالثة
ليوسف البار وأعطاه الأذن بأن يقوم ويعود إلى الوطن لأن
هيرودس قد مات فعاد إلى الوطن وسلك نفس الطريق . . .
متحملًا نفس الأعباء والمعنا .

هذا هو يسوع الناصري الذى لذ لنا أن نتأمل كيف ولد وكيف جاء عالنا . . وسيلة لنا أيضاً أن نتابعه فى خطوات تجسده وخدمته . . لعلنا ندرك الذى من أجله أدركنا المسيح :

الأقصر : كنيسة العذراء والأقباط انطونيوس

صوم الميلاد القدس } ديسember ١٩٧٠ للميلاد
كيهك ١٦٨٧ للشهداء }

سبعينيات القرن العشرين في مصر ، حيث انتشرت الكتب
الدينية والعلمية في مصر ، وأصبحت الكتب الدينية
شيئاً فشيئاً مكتوبة باللغة العربية ، وهي لغة
الكتاب المقدس ، وهي لغة الكتاب المقدس ، وهي لغة



٤٠ ش. كامل صدق بالفجالة

٩٤٩٤٩٤ - ٩٤٩٤٩٥